IUGJIS
Vol 27, No 2, 2019, pp 143 - 179

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2018-02-26)، تاريخ قبول النشر (2018-04-15)

تناسق ورود أسماء اللّه الحسنى في خواتيم آيات سورة الأنفال مع السياق

د. طارق أحمد عقيلان [1]،*

[1] قسم الدراسات الإنسانية، الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية– غزة، فلسطين

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: takilan@ucas.edu.ps

الملخص:

هذا البحث له علاقة ببلاغة القرآن الكريم من جهة إعجازه بنَظْمه، فالبحث يتناول الحديث عن تناسب وانسجام ورود أسماء الله الحسنى في خواتيم آيات سورة الأنفال مع السياق، فيُبيِّن علاقة ورود كل اسم مع السياق الذي ورد ختمًا له، ويُبيِّن التناسب في تجاور اسمين ختمًا للسياق، فيَظْهَر وجه ورود هذا الاسم دون غيره من الأسماء الحسنى،، وهذا تأكيدٌ على إحكام القرآن الكريم.

وقد اشتملت هذه الدراسة على أربعة مباحث؛ فجاء المبحث الأول يتحدث عن الدلالات اللغوية لأسماء الله الحسنى التي وردت في خواتيم آيات سورة الأنفال، والمبحث الثاني تناول الحديث عن تناسب ورود الأسماء مفردةً مع السياق، والمبحث الثالث تناول الحديث عن تناسب وانسجام تجاور الأسماء الحسنى ختمًا للسياق، والمبحث الرابع تضمن الحديث عن الدلالات الإحصائية لعدد مرات ورود الأسماء الحسنى مفردة أ/ متجاورة. ثم تأتي الخاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها الدراسة.

كلمات مفتاحية: تناسق، الأسماء الحسنى، خواتيم، السياق

Compatibility, the Holy Names of Allah, the end of the qur'anic verses, the Context

Abstract

This research is about the eloquence of the Holy Quran, as it tackles how the names of Allah are perfectly used and combined together in the holy verses of 'Surah al Anfaal'. The researcher shows the relationship between the names of Allah and the previous verse and its precise meaning. It also investigates the idea behind the pair of the two names of Allah in the end of each of the target verses. This highlights why the almighty Allah chose these specific names from the other many names, that corresponds to the careful precision of the Holy Quran .

The current research is divided into three sections. The first section is about the verbal connotations of the names of Allah that are presented in the end of the verses of Surah al Anfaal. The second section explains the use of these specific names that correspond to the meanings of the verses. The third and final section is about the precise combination between two names of Allah that are compatible with the qur'anic verse. Finally, the research concluded the important findings and recommendations.

Keywords: Compatibility, the Holy Names of Allah, the end of the qur'anic verses, the Context

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد:

إنَّ القرآن الكريم معجزٌ في نظم آياته وترتيب سوره، ومن ذلك اختيار الكلمة المناسبة للسياق الذي تَرِد فيه بحيث لا يصلح غيرها مكانها، وقد وردت أسماء الله الحسنى بكثرة في خواتيم الآيات القرآنية، لتضيف معاني عظيمة، تستحق الوقوف عندها والتأمل فيها، واستنباط العبرة من ورودها دون غيرها، والعبرة من تجاورها، وسرّ هذا التجاور وترتيبه.

فجاءت هذه الدراسة الموسومة "تناسق ورود الأسماء الحسنى في خواتيم آيات سورة الأنفال مع السياق" لتختص بالأسماء الحسنى التي وردت ختمًا للآيات القرآنية في سورة الأنفال، من حيث بيان دلالاتها اللغوية والإحصائية، ومن ثَمَّ بيان تناسب وانسجام ورود هذه الأسماء الحسنى مع آياتها ومع السياق التي هي فيه، سواء أكانت مفردةً أم متجاورة.

أولًا- أهمية البحث:

لهذه الدراسة أهمية تتمثل فيما يأتي:

1-كونها تتعلق بعلم المناسبات الذي يشكل ركنًا أصيلًا في علم تفسير القرآن الكريم، فهو الذي يُبْرِز انسجام الكلمات في الآيات، والآيات في السياق، والسياقات المختلفة في تتابعها في إثر بعضها، الأمر الذي من شأنه أن يضيف جديدًا في الدلالات المتعلقة بأسماء الله الحسنى.

2-كونها تتعلق بإعجاز القرآن الكريم المتمثل في نظمه.

ثانيًا- أسباب اختيار البحث:

إنَّ الذي دفعني لهذه الدراسة هو كثرة ورود الأسماء الحسنى وخاصة في خواتيم الآيات، منها ما هو مفرد، ومنها ما هو متجاور، فأصبح لدي رغبة في دراسة ورود الأسماء الحسنى، وربط الختم بها بالسياقات المختلفة، من أجل إضافة دلالات جديدة للأسماء الحسنى من حيث ورودها والختم بها دون غيرها؟

ثالثًا- أهداف البحث:

لهذه الدراسة أهدافٌ ساميةٌ أُجملها فيما يأتي:

1-بيان جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم بنَظْمه ببيان تناسق وانسجام ورود أسماء الله الحسنى في خواتيم الآيات مع السياق التي هي فيه.

2-بيان الدلالات اللغوية والمعاني الاصطلاحية لأسماء الله الحسنى الواردة في خواتيم سورة الأنفال.

3-ربط تلك الدلالات اللغوية بمعنى الآيات أو السياق، وبيان المراد منها.

4-بيان تناسق وانسجام الأسماء الحسنى في خواتيم الآيات مع سياقاتها المختلفة.

5-بيان سرّ من أسرار تجاور الأسماء الحسنى وترتيبها في إثر بعضها دون عكسها.

6-بيان دلالات إحصائية متعلقة بعدد مرات ورود الأسماء الحسنى كثرةً وقلة.

رابعًا- حدود الدراسة:

الآيات القرآنية في سورة الأنفال التي ذُيِّلَت بأسماء الله الحسنى.

خامسًا- إشكالية الدراسة:

تأتي هذه الدراسة إجابةً على التساؤل الرئيس؛ هل هناك رابط وتناسق بين أسماء الله الحسنى في خواتيم الآيات مع آياتها وسياقاتها المختلفة؟

وتتحقق الإجابة على هذا التساؤل من خلال الإجابة على التساؤلات الفرعية الآتية:

- ما الدلالة اللغوية والمعاني الاصطلاحية لأسماء الله الحسنى الواردة في خواتيم سورة الأنفال؟
- ما العلاقة بين الدلالة اللغوية والمعنى الاصطلاحي للاسم وبين السياق الذي هو فيه؟
- ما وجه المناسبة والختم بالأسماء الحسنى المفردة مع السياق؟
- ما العلاقة بين الدلالات اللغوية والمعاني الاصطلاحية للأسماء المتجاورة وبين السياق الذي جاءت ختمًا له؟
- ما وجه مناسبة ترتيب ورود الأسماء المتجاورة من حيث مجيء أحدها قبل الآخر دون العكس؟
- ما وجه المناسبة والختم باسمين متجاورين من أسماء الله الحسنى في خواتيم سورة الأنفال؟
- ما هي دلالة تفاوت عدد مرات ورود الأسماء الحسنى كثرة وقلة؟

سادسًا- الدراسات السابقة:

تناول كثيرٌ من الباحثين والدارسين سورة الأنفال بالدراسة؛ من حيث الموضوعات التربوية والدعوية والأهداف والمقاصد، ومنهجيات الإصلاح والتغيير الواردة في السورة، ومن حيث أثر اختلاف الإعراب فيها على التفسير، ومن حيث أثر اختلاف القراءات فيها على التفسير، وبعضهم تناول فواصل السورة ومناسبتها لآياتها، وذلك ضمن سلسلة بإشراف كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة، وهي رسالة ماجستير للباحث وائل علي فرج بإشراف د. زهدي أبو نعمة عام 2010م، وهي تحت عنوان: مناسبة الفواصل القرآنية لآياتها دراسة تطبيقية لسورتي الأنفال والتوبة.

ولم أعثر على دراسة تختص بالأسماء الحسنى الواردة في سورة الأنفال، ودراستها من حيث إحصائها وبيان الدلالة اللغوية والمعاني الاصطلاحية لها، ومناسبة ورودها دون غيرها ختماً للآيات، وربط تلك الدلالات اللغوية والمعان الاصطلاحية بالسياق العام للآيات التي هي ختماً له، وملاحظة انفراد بعضها، واقتران بعضها مجاوراً لأسماء حسنى أخرى، ودراسة الدلالة الإحصائية لورود تلك الأسماء وتوزيعها بين القرآن المكي والقرآن المدني ومنه سورة الأنفال موضوع الدراسة، وهذا ما قمتُ به في هذا البحث.

ومن الدراسات السابقة التي تناولت الأسماء الحسنى في سورة من السور، بحث بعنوان: أسرار الانسجام والبيان في الأسماء الحسنى والصفات العلا في فواصل سورة النساء، بحث مُحَكَّم من إعداد أ. د. رياض قاسم، د. نمر أبو عون.

سابعًا- منهج البحث:

اتبع الباحث في دراسته المنهج التحليلي الوصفي الذي يجمع بين الاستقراء والتحليل لآيات السورة المستهدفة بالدراسة في هذا البحث، مع الالتزام بضوابط البحث العلمي.

سابعًا- خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وبيان ذلك في ما يأتي:

التمهيد:

المبحث الأول: الدلالات اللغوية والمعاني الاصطلاحية لأسماء الله الحسنى الواردة في خواتيم الآيات.

المبحث الثاني: تناسق ورود الأسماء الحسنى مفردةً مع السياق.

المبحث الثالث: تناسق ورود الأسماء الحسنى متجاورةً في خواتيم الآيات مع السياق.

المبحث الرابع: الدلالات الإحصائية لورود الأسماء الحسنى.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها الدراسة.

تمهيد:

لقد دار خلاف كبير بين العلماء حول أسماء الله الحسنى من حيث عددها وحصرها، إذ إنَّهم اختلفوا في مفهوم العدد الوارد في حديث أبي هريرة أنَّ رسول الله قال: [إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ][1]، فمنهم من ذهب أنَّ المراد الحصر، ومنهم من ذهب خلاف ذلك.

والحقيقة أنها أكثر من ذلك بدليل حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله: [مَا قَالَ عَبْدٌ قَط إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَن: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُك، وَابْنُ عَبْدِك، وَابْنُ أَمَتِك، نَاصيَتِي بِيَدِك، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُك،عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُك، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَك، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَك، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِك، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِك، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَك، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُعَزَّ وَجَلَّ هَمَّه، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَحُزْنِهِ فَرَحًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه،يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَال: أَجَلَ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْيَتَعَلَّمَهُنَّ][2].

فالحديث واضحٌ في دلالته أنَّ هناك أسماءً استأثر الله تعالى بعلمها، فهي كثيرة جدًّا، وإنما أراد النبي ﷺ أنَّ من الأسماء الحسنى تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، ومثال ذلك في لغة العرب قول القائل: إنَّ لي ألف درهم أعددتها للصدقة، وإن كان ماله أكثر من ذلك.[3]

ولم يرد حديثٌ صحيحٌ عن النبي في تعيين التسعة والتسعين اسمًا، فالأحاديث التي ورد فيها تعيينٌ لأسماء الله الحسنى ليست من قول النبي، وإنما هي من زيادات الرواة،[4] إذ اجتهدوا في جمعها وإحصائها امتثالًا لأمر النبي، ورغبةً في نيل الأجر والثواب والفوز بالجنة، ويدلل اختلافهم في تعيينها على أنها كثيرة غير محصورة في عدد معين، إذ كان يستدرك كل منهم على الآخر، ولست بصدد ذكر اختلاف العلماء قديمًا وحديثًا في تعيينها، إذ المقام هنا في هذا البحث لا يتسع، فالدراسة في هذا البحث تُرَكِّز على بيان وجه من أوجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وهو تناسب ورود الأسماء الحسنى في آياتها مع السياق الواردة فيه.

وسأقوم في بحثي هذا باعتماد الأسماء الحسنى التي لها تخريج عند أحد العلماء أو ذكرها أحد الرواة، وقد وجدت أسماء الله الحسنى الواردة في خواتيم آيات سورة الأنفال ثلاثة عشر اسمًا، جاء بعضها مفردًا، وجاء بعضها مجاورًا لاسم آخر، وذلك بحسب ما يقتضيه السياق، وهي: الشديد،[5]والبصير، والعليم، والعزيز، والحكيم، والقوي، والسميع، والغفور، والرحيم. والمحيط، والقدير، والمولى، والنصير[6].

---

(1)صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثُّنْيَا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم وإذا قال: مائةٌ إلا واحدةً أو ثِنْتَين، (ح: 2736، 198/3).

(2)الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ح:4318، (341/7)، إسناده صحيح.

(3)يُنْظَر: تقي الدين أحمد ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، (384/2).

(4)يُنْظَر: المرجع السابق، (380/2).

(5)يُنْظَر: أبو عبد الله ابن منده، التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، (139/2).

(6)يُنْظَر: محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، (ص:15).

المبحث الأول: التعريفات الاصطلاحية والدلالات اللغوية للأسماء الحسنى الواردة في خواتيم الآيات

إنَّ للأسماء الحسنى دلالاتٍ لغويةً عظيمةً ينبغي الوقوف عندها قبل الحديث عن تناسب ورود هذه الأسماء في سياقاتها المختلفة، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً- الشديد: (الشديد) مشتق من الشدة وتعني الصلابة، والشديد القوي،[1] وعليه فهذا الاسم يحمل معنى القوة، فهو سبحانه وتعالى قويٌّ شديد وعذابه شديد. وهذا الاسم الجليل لم يَرِد مطلقًا معرفًا بـــ(ال)؛بل ورد مضافًا إما إلى (العقاب)، وإما إلى (العذاب)، وإما إلى (المِحال)، وإما إلى القوى.

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (الشديد) في القرآن الكريم وجدته ورد مفردًا ختمًا للآيات في ثلاثة عشر موضعًا: أحد عشر منها مضافًا إلى العقاب، وواحد إلى العذاب، وواحد إلى المحال، وواحد إلى القوى. فجاء موضعان منها في سورتين مكيتين، وأحد عشر موضعًا في سور مدنية. وورد مجاورًا للاسم (القوي) ومضافًا إلى (العقاب) في موضعين اثنين؛ واحد في سورة مكية والآخر في سورة مدنية.

ثانياً- البصير: (البصير) مشتق من بَصَر، وأبصرتُ الشيء رأيته وشاهدته، وبَصُرَ به نظر إليه فأبصره،[2]وفي حق الله "هو الذي يشا

هد الأشياء كلها ظاهرها وخفيها بغير جارحة، والبصر في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات"[3]، قال الغزالي: "هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى،" وإبصاره أيضاً مُنزَّه عن أن يكون بحدقة وأجفان،ومقدس عن أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاته"[4].

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (البصير) في القرآن الكريم وجدته ورد مفردًا ختمًا للآيات في سبعة وعشرين موضعًا؛ منها 9 مواضع في السور المكية، و18 موضعًا في السور المدنية، وورد مجاوراً لاسم آخر في ستة عشر موضعاً؛ منها 10 موضعًا في السور المكية، و5 في السور المدنية: فجاور الاسم (السميع) في عشرة مواضع، والاسم (الخبير) في خمسة مواضع.

ثالثاً- القدير: (القدير) من الفعل قدر، وهو إما من القُدْرَة وإما من التقدير، فالله تعالى مُقَدِّر كل شيء وقادر على كل شيء.[5]فالله عز وجل قادر وقدير ومقتدر، وقدرته مطلقة؛ وأما قدرة البشر مقيدة، فقدرته تعالى لا يعتريها نقص أو عجز.

ويتضح مما سبق معنيان:

1- القدرة المطلقة لله تعالى.

2- التقدير المتقَن لكل شيء.

(1)يُنْظَر: ابن منظور، لسان العرب، 38/8

(2)يُنْظَر: ابن منظور، لسان العرب، (64/4).

(3)ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (131/1).

(4)أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى، (ص:91).

(5)يُنْظَر: ابن منظور، لسان العرب، (74/5).

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (القدير) في القرآن الكريم وجدته ورد مفردًا ختمًا للآيات في سبعة وثلاثين موضعًا؛ منها 11 موضعًا في السور المكية، و26 موضعًا في السور المدنية، وورد مجاورًا لاسم آخر في خمسة مواضع؛ منها 4 مواضع في السور المكية، وموضع واحد في سورة مدنية: فجاور الاسم (العليم) في أربعة مواضع، والاسم (العفو) في موضع واحد.

رابعاً- العليم: (العليم) من العِلْم الذي هو "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"[1]، أو هو "إدراك الشيء بحقيقته،[2]قال الغزالي: "علم الله سبحانه وتعالى بالأشياء غير مستفاد من الأشياء، بل الأشياء مستفادة منه، وعلم العبد بالأشياء تابع للأشياء وحاصل بها"[3]. وعِلْم الله منزه عن سابقة الجهل والاكتساب، فهو الذي يعلم ما كان، ويعلم ما يكون، ويعلم مالم يكن لو كان كيف كان يكون، فهو عالم الغيب والشهادة.[4]

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (العليم) في القرآن الكريم وجدته ورد مفردًا ختمًا للآيات في خمسة وخمسين موضعًا؛ منها 18 موضعًا في سور مكية و37 موضعًا في سور مدنية. وورد مجاورًا لاسم آخر في سبعة وتسعين موضعًا، منها 35 موضعًا في سور مكية و62 موضعًا في سور مدنية. فجاور الاسم (الحكيم) في 36 موضعًا، والاسم (السميع) في 32 موضعًا، والاسم (الواسع) في سبعة مواضع، والاسم (العزيز) في ستة مواضع، وكلًّا من الاسمين (الخبير، القدير) في أربعة مواضع، والاسم (الحليم) في ثلاثة مواضع، وكلًّا من الاسمين (الشاكر، الخلاق) في موضعين اثنين، والاسم (الفتاح) في موضع واحد.

خامساً- المحيط: (المحيط) من حاط يحوط حوطاً، والمعنى حفظه وتعهده، وكل من بلغ أقصى شيء وأحصى علمه فقد أحاط به،[5]قال الراغب: "والإحاطة تقال على وجهين: أحدهما في الأجسام ، نحو أحطتُ بمكان كذا. أو تستعمل في الحفظ نحو: {أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ}[فصلت:54] أي حافظ له من جميع جهاته ... والثاني: في العلم نحو قوله: {أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْمًا} [الطلاق:12]"[6]. وعليه فالمحيط هو الذي لا يُقْدَر على الفرار منه. والله عز وجل محيطٌ لأنَّه أحاط بعباده حفظًا وتعهدًا، وقدرة، فلا يستطيعون فرارًا منه، وهو محيطٌ بأعمالهم، إحاطة قدرةٍ وشمول وإطلاق.

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (المحيط) في القرآن الكريم وجدته ورد مفردًا ختمًا للآيات في ثمانية مواضع، ولم يأتِ مجاورًا لاسم آخر. منها ثلاثة مواضع في سور مكية، وخمسة مواضع في سور مدنية.

سادساً- العزيز: (العزيز) من العِزّ أي: القوة والشدة والغلبة والقهر، والعزة :الرفعة والامتناع،[7] منه أيضًا أنَّ(عَزَّ) بمعنى قَلَّ قَلَّ ونَدُر فلا يكاد يوجد.[8]، ومنه قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ}[فصلت:41]، أي يصعب مناله ووجود مثله، وكذا يقال عَزَّ

(1)علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، (ص:155).
(2)الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (114/2).
(3)أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى، (ص:87).
(4)يُنْظَر: أبو العباس أحمد بن محمد الفيومي الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (327/2).
(5)يُنْظَر: أبو الحسن ابن سيدَه المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، (483/3).
(6)أبو القاسم الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، (275/1).
(7)يُنْظَر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (38/4)، ابن منظور، لسان العرب، (374/5).
(8)يُنْظَر: زين الدين أبو عبد الله محمد الحنفي الرازي، مختار الصحاح، (ص:207).

عليّ: أي صعب، قال تعالى:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}[التوبة:128]. (1)

والعزيز من أسماء الله الحسنى هو القوي الغالب الذي يَقْهَر ولا يُقْهَر، ويَغْلِب ولا يُغْلَب، وهو الذي يَعْظُم خطره، وتشتدّ الحاجة إليه في كل شيء، ويصعب الوصول إليه.(2)

وبرصد حركة دوران هذا الاسم في القرآن الكريم وجدته لم يرد مفردًا، وورد مجاورًا لاسم آخر في ستة وثمانين موضعًا؛ منها 48 موضعًا في سور مكية، و38 موضعًا في سور مدنية. فجاور الاسم (الحكيم) في سبعة وأربعين موضعًا، والاسم (الرحيم) في ثلاثة عشر موضعًا، والاسم (القوي) في سبعة مواضع، والاسم (العليم) في ستة مواضع، وكلًّا من الاسمين (الحميد، الغفار، ذو انتقام) في ثلاثة مواضع، والاسم (الغفور) في موضعين اثنين، وكلًّا من الاسمين (الوهاب، المقتدر) في موضع واحد.

سابعاً- الحكيم: (الحكيم) من الحكمة، والحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. والحَكَم والحكيم هما بمعنى الحاكم، أي القاضي، والحكيم الذي يُحْكِم الأشياء ويُتْقِنها فلا يحتاج إلى غيره.(3)

قال الخطابي: "هو المُحْكِم لخَلْق الأشياء، صُرِفَ عن (مفعل) إلى (فعيل كقولهم: أليم بمعنى مؤلم ... ومعنى الإحكام لخَلْق الأشياء إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحُسْن التقدير لها"(4).

وحكمة الله عز وجل مطلقةٌ ليست كحكمة البشر؛ لأنَّ "الحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات"(5).

ويتضح مما سبق معنيان: الأول: القضاء، والثاني: الإتقان، فالله عز وجل حكيمٌ يقضي بين الخلائق ويحكم بينهم، وأتقن كل شيء خَلَقَه بالعدل في التقدير والإحسان في التدبير.

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (الحكيم) في القرآن الكريم وجدته ورد مجاورًا لاسم آخر في ثمانية وثمانين موضعًا، ولم يأتِ مفردًا؛ منها 30 موضعًا في سور مكية و58 موضعًا في سور مدنية. فجاور الاسم (العزيز) في سبعة وأربعين موضعًا، والاسم (العليم) في ستة وثلاثين موضعًا، والاسم (الخبير) في أربعة مواضع، والاسم (الواسع) في موضع واحد.

ثامناً- القوي: (القَوِي) من القوة، والقوة نقيض الضعف، يقال: قوّى الله ضعفك، أي: أبدلك مكان الضعف قوة،(6)،وقال الرضواني: "فالمولى قويلأنه كامل القدرة على الشيء،لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، الموصوف بالقوة المطلقة"(7).

---

(1)يُنْظَر: أبو القاسم الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، (91/2).

(2)يُنْظَر: أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، (ص:73).

(3)يُنْظَر: أبو السعادات مجد الدين ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (419/1).

(4)أبو سليمان حَمْد بن محمد الخطابي، شأن الدعاء، (ص:73).

(5)أبو القاسم الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، (252/1).

(6)يُنْظَر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (459/6).

(7)الرضواني، أسماء الله الحسنى الثابتة في القرآن والسنة، (ص:77).

والقوي اسم من أسماء الله الحسنى، وصفة من صفاته، فهو لا يعتريه ضعفٌ في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لا يغلبه أحد، ولا يمانَع في أمره.

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (القوي)في القرآن الكريم وجدته ورد مجاورًا لاسم آخر في تسعة مواضع، ولم يأتِ مفردًا؛ منها 3 مواضع في سور مكية و6 مواضع في سور مدنية. فجاور الاسم (العزيز) في سبعة مواضع، والاسم (الشديد) مضافًا إلى العقاب في موضعين اثنين.

تاسعاً– السميع: (السميع) من السَّمْع وهو حسّ الأذن، وهو ما وقر في الأذن من شيءٍ تسمعه، وسَمَّعه الصوتَ وأَسْمَعه: استَمَع، وتَسَمَّع إليه: أصغى، وتأتي سَمِع بمعنى أجاب، و(السميع: ذو سَمْع) من أسماء الله وصفاته، فهو لا يعزب عن إدراكه مسموع، وإن خفي فهو يسمع من غير جارحة، وقد وسع سمعه كل شيء، .[1]

والله عز وجل هو المتصف بالسَّمْع المطلق؛ فهو يسمع السرّ والنَّجوى وما يجول في الخواطر، وهو المُجيب الذي يجيب عباده، وهو المُسْمِع الذي يُسْمِع من يشاء.

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (السميع) في القرآن الكريم وجدته ورد مفردًا ختمًا للآيات في موضعين اثنين مضافًا إلى كلمة (الدعاء)؛ موضع في سورة مكية والآخر في سورة مدنية، وورد مجاورًا لاسم آخر في ثلاثة وأربعين موضعًا؛ منها 17 موضعًا في سور مكية و26 موضعًا في سور مدنية. فجاور الاسم العليم في 32 موضعًا، والاسم (البصير) في 10 مواضع، والاسم (القريب) في موضع واحد.

عاشراً– الغفور: (الغفور) من الغَفْر أي: التغطية والستر، وغَفَرَ الله ذنوب عباده أي: سترها وتجاوز عنها، وهي من أوصاف المبالغة في الفعل،[2] والمغفرة من الله هي الستر مع الوقاية من أن يمس العبد العذاب،[3]. فالغفور هو الذي يستر المذنبين في كل حين، ويديم ستره عليهم، كلما دعوه ليغفر لهم ذنوبهم، غَفَر لهم، و ستر عليهم، ووقاهم آثامها.

قال أبو البقاء: "والغفران يقتضي إسقاط العقاب ونيل الثواب، ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يستعمل إلا في الباري تعالى"[4].

وعليه فالغفور هو الذي يستر على عباده المذنبين في الدنيا وفي الآخرة، ويصونهم من عذاب النار، وينيلهم ثوابًا بعد الستر.

وغفران الله للعبد يقتضي إسقاط العقاب وإيجاب الثواب، والستر منه ألا يفضحه فلا يذكر عثراته، ويكون الستر في الدنيا على الكافر والفاسق، ولا يقال لمن ستر الله عليه في الدنيا أنه غفر له، والصفح التجاوز عن الذنب وترك المؤاخذة عليه، والعفو يقتضي إسقاط اللوم والذم ولا يقتضي الثواب، وعليه فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب.[5]

(1)يُنْظَر: ابن منظور، لسان العرب،(162/8 – 164).

(2)يُنْظَر: عبد الرحمن بن إسحق البغدادي النهاوندي الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، (ص:93، 94).

(3)محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، (ص:253).

(4)أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص:666).

(5)يُنْظَر: أبو هلال الحسن العسكري، الفروق اللغوية، (ص:235، 236).

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (الغفور) في القرآن الكريم وجدته ورد مجاورًا لاسم آخر في تسعة وثمانين موضعًا، ولم يرد مفردًا؛ منها 35 موضعًا في سور مكية و54 موضعًا في سور مدنية. فجاور الاسم (الرحيم) في 72 موضعًا، والاسم (الحليم) في ستة مواضع، والاسم (العفو) في أربعة مواضع، والاسم (الشكور) في 3 مواضع، والاسم (العزيز) في موضعين اثنين، وكلًّا من الاسمين (الودود، الرب) في موضع واحد.

حادي عشر: الرحيم: (الرحيم) من (رحم) والرحمة هي الرّقّة والتّعطُّف، وتراحم القوم رَحِمَ بعضهم بعضًا،[1] قال الراغب: "والرَّحمة رقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرِّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرِّقّة ... وإذا وُصِف الباري بها فليس يراد بها إلا الإحسان المجرّد دون الرِّقّة، وعليه روي أنّ الرَّحمة من الله إنعامٌ وإفضال، ومن الآدميين رقّة وتعطُّف"[2].

وعليه فـ(الرحيم) يقتضي ألا يضيع على عاملٍ عملاً قام به، ولا على ساعٍ سعياً سعاه في الخير، فهو مثيبٌ على العمل إحساناً وتفضلاً.

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (الرحيم) في القرآن الكريم وجدته ورد مفردًا ختمًا للآيات في ثلاثة مواضع؛ موضعًا واحدًا في سورة مكية، وموضعين اثنين في سورتين مدنيتين، ومجاورًا لاسم آخر في مائة وأحد عشر موضعًا؛ منها 45 موضعًا في سور مكية و66 موضعًا في سور مدنية. فجاور الاسم (الغفور) في 72 موضعًا، والاسم (العزيز) في 13 موضعًا، والاسم (التواب) في تسعة مواضع، والاسم (الرؤوف) في ثمانية مواضع، والاسم (الرحمن) في ستة مواضع، وكلًّا من الأسماء (البَرّ، الودود، الرب) في موضع واحد.

ثاني عشر– المولى: (الوَلِي) من الولاية، والولي الناصر، والمتولي لأمور العالم القائم بها، والوالي المالك للأشياء والمتصرف فيها، والوِلاية في الإمارة، والوَلاية في النصرة، و(الولاية) تُشْعِر بالتدبير والقدرة والفعل، وكل من وَلِيَ أمراً أو قام به فهو مولاه ووليّه، والمولى تدخل فيها عدة معانٍ منها: الربّ والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحبّ.[3]

والله وليٌّ ومولى لأنَّه يتكفَّل بعباده وينصرهم، ويقوم على رعايتهم، ولاية عامة مطلقة لا كولاية البشر المحدودة.

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (المولى) في القرآن الكريم ختمًا للآيات وجدته ورد مجاورًا للاسم (النصير) في موضعين اثنين، ولم يأتِ مفردًا. وكلاهما في سورتين مدنيتين.

ثالث عشر– النصير: (النصير):من (نَصَر)، والنصرة إعانة المظلوم، وحسن المعونة، والانتصار الانتقام، والانتصار استمداد النصر، والتناصر التعاون على النصر.[4] والنصرة تكون بالمساعدة والمعونة والتقوية.[5] فالله النصير إذن هو الذي يساعدك ويقويك ويعينك على مواجهة أمر شق عليك حمله، وصعب عليك أمره، والله النصير الذي لا يخذل وليه.

---

(1) يُنْظَر: ابن منظور، لسان العرب، (230/12).

(2) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، (391/1).

(3) يُنْظَر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (227/5، 228).

(4) يُنْظَر: أبو الحسن ابن سيده المرسي، المخصص، (380/3، 381).

(5) يُنْظَر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، (ص:578).

وبرصد حركة دوران هذا الاسم (النصير) في القرآن الكريم ختمًا للآيات وجدته ورد مجاورًا لاسم آخر في ثلاثة مواضع، ولم يأتِ مفردًا؛ جميعها في سور مدنية، فجاور الاسم (المولى) في موضعين اثنين، والاسم (الولي) في موضع واحد.

المبحث الثاني: تناسق ورود الأسماء الحسنى مفردةً مع السياق

بعد أنْ بيَّنْت المعاني الاصطلاحية والدلالات اللغوية للأسماء الحسنى الواردة في خواتيم آيات سورة الأنفال، سأقوم في هذا المبحث برصد حركة دوران الأسماء الحسنى المفردة غير المتجاورة، وبيان تناسب الختم بها، ولكن قبل البدء بهذا يجدر بنا بيان تعريف عام بسورة الأنفال:

سورة الأنفال هي سورة مدنية، من أوائل ما نزل بعد الهجرة إذ نزلت عقب غزوة بدر مباشرة في شهر رمضان 2هـ، وقبل الانصراف إلى المدينة، إذ نزلت والمسلمون في بدر قبل قسمة الغنائم، واستمر نزولها إلى ما بعد الانصراف من بدر. وورد في سبب نزولها عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ بَدْرٍ: [مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَلَهُ مِنَ النَّفَلِ كَذَا وَكَذَا». قَالَ: فَتَقَدَّمَ الْفِتْيَانُ وَلَزِمَ الْمَشْيَخَةُ الرَّايَاتِ فَلَمْ يَبْرَحُوهَا، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ الْمَشْيَخَةُ: كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ لَوِ انْهَزَمْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا، فَلَا تَذْهَبُوا بِالْمَغْنَمِ وَنَبْقَى، فَأَبَى الْفِتْيَانُ وَقَالُوا: جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} [الأنفال: 1] إِلَى قَوْلِهِ: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} [الأنفال: 5] يَقُولُ: «فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ، فَكَذَلِكَ أَيْضًا فَأَطِيعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِعَاقِبَةِ هَذَا مِنْكُمْ].[1]

وعن مصعب بن سعد، عن أبيه، أنَّه نزلت فيه آيات من القرآن . . . . قال: وَأَصَابَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنِيمَةً عَظِيمَةً، فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتُهُ، فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: نَفِّلْنِي هَذَا السَّيْفَ، فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ، فَقَالَ: رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ فَانْطَلَقْتُ، حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبَضِ لَامَتْنِي نَفْسِي، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ : أَعْطِنِيهِ، قَالَ فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ}.[2]

وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الاسم الجليل (الشديد)

ورد الاسم الجليل (الشديد) مفردًا غير متجاورٍ مع اسم آخر في ثلاثة مواضع من خواتيم سورة الأنفال، وقد ورد في جميعها مضافًا إلى كلمة (العقاب)، وبيان ذلك في ما يأتي:

أولًا: قال الله تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال:12، 13].

(1) سنن أبي داود، بابٌ في النفل، ح:2737، (77/3)، صححه الألباني.

(2) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص، ح:6317، (125/7).

المعنى العام: تتحدث الآيات عن إيحاء الله تعالى إلى الملائكة بتثبيت المؤمنين ونصرهم، وأنَّ الله عز وجل معهم بالإعانة والتأييد، إذ ألقى الرعب في قلوب الكافرين، وأمر الملائكة بقطع رؤوس الكافرين وأطراف أصابعهم، ثم بينت الآيات سبب حصول ذلك العذاب الذي نزل بالمشركين، وأنَّه بسبب المشاقَّة ومعاداتهم للإسلام والمسلمين، وبُعدهم عن الدين الحقّ، ثم ختمت الآيات بتقرير أنَّ الله شديد العقاب.(1)

المناسبة: لما كان السياق يتحدث عن فعلٍ من أفعال الكفرة المشركين، وهو البعد عن دين الله عز وجل، وهذا الفعل لا يستحق العقاب فحسب؛ بل الشدة فيه، والشدة في العقاب تناسب شدة القبح في الفعل، و(العقاب) هو استحقاقٌ للذنب الذي ارتكبوه، ولما كان حصوله عقيب فعلهم ناسب مجيء كلمة (العقاب) دون (العذاب)، وفي الجملة تهويلٌ وتفظيعٌ ووعيد.

وعليه فلما كان السياق يتحدث عن ذنب أحدثه الكفار وهو المشاقة، وقد استحقوا عليه حلول العذاب بهم حالًا ناسب أن تختم الآيات بشديد العقاب على ما سلف من الأفعال الواردة في السياق.

قال أبو هلال العسكري في فائدة (العقاب): "(العقاب) ينبئ عن استحقاق،وسمّي بذلك لأنَّ الفاعل يستحقه عقيب فعله، ويجوز أن يكون العذاب مستحِقًّا وغير مستحِقّ، وأصل العقاب التُّلُو"(2).

ثانيًا– قال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] [الأنفال:24، 25].

المعنى العام: جاءت الآيات تأمر المؤمنين بالامتثال فعلًا وتركًا لأمر الله ونهيه، إذ بالالتزام بالدين يتحقق الصلاح للأمة والخيرية، وتتحقق الحياة الطيبة، ثم جاء التهديد بالمبادرة إلى الامتثال؛ ذلك أنَّ الله عز وجل أَمْلَك لقلوب عباده منهم، يهيمن عليها ويقلبها كيف شاء من حالٍ إلى حال، وفي النهاية المرجع والمآل إلى الله تعالى للحساب والجزاء. ثم حذرت الآيات من الوقوع في الفتن التي هي من قبيل الاختبار والامتحان، والتي تعم المسيء وغيره، فلا يختص بها أهل الذنب ومرتكبيها، مثل القحط والأمراض وتسلط العدو عليهم، فالله عز وجل شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره، فهو يعاقِب بالمعصية.(3)

المناسبة: لما جاءت الآية الأولى مخاطِبةً المؤمنين بالالتزام بشريعة الله تعالى أمرًا ونهيًا، جاءت الآية الثانية تحذيرًا لهم من أن يتركوا طاعة الله عز وجل ورسوله؛ ومن ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فيَعُم الفساد، فحينها إذا نزل البلاء فإنه يعم الصالح والطالح، فناسب أن تأتي (وأنَّ الله شديد العقاب) ختمًا لهذا السياق للدلالة على استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى استحقاق تعذيب العامة بذنوب الخاصة لإقرار المنكر بين ظهرانيهم، فيكون ذلك حثًّا لهم على الطاعة قبل فوات الأوان، ودفعًا في تجاه تطبيق الشريعة الإسلامية.

قال أبو حيان: "لأنَّ مَن عَلِم شدة العقاب على المخالفة كان حريصًا على تحصيل التقوى، إذ بها يأمن من العقاب"(4).

(1) يُنْظَر: أبو الطيب محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، (5/142 – 144).

(2)أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، (ص:249).

((3))يُنْظَر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/55)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/40 - 34).

((4))أبو حيان، البحر المحيط، (2/271).

ثالثًا– قال الله تعالى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال:48].

المعنى العام: تتحدث الآية عن دور إبليس وهو يَعِد المشركين ويُمَنّيهم؛ فزيَّن لهم أعمالهم القبيحة حسنة، وشجَّعهم على الخروج لقتال المسلمين، وقد كان المشركون يخشون أن تغدر بهم كنانة من خلفهم،[1]فأراد أن يزيل تلك المخاوف من نفوسهم؛ وقد كان في صورة سراقة بن مالك؛ فقال لهم إبليس أنه معينٌ ومجيرٌ لهم من كنانة، إلا أن إبليس رجع هاربًا حين اقتربت الفئتان من بعضهما، وتبرأ منهما لما رأى الملائكة، فخاف أن يَهْلَك.[2]

المناسبة: لما كانت الآية تتحدث عن فعلٍ شنيعٍ من أفعال الكفرة المشركين، وهو الصد عن دين الله تعالى، ومقاتلة المسلمين، وتحريض الشيطان على ذلك، واتباعهم له، وهو فعلٌ قد استحقَّ العقاب؛ بل العقاب الشديد، ولما كان حصول العقاب عَقِب فعلهم ناسب أن تختم الآية بـــ(شديد العقاب).

المطلب الثاني: الاسم الجليل (البصير)

ورد هذا الاسم مفردًا في موضعين اثنين من خواتيم آيات سورة الأنفال، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولًا: قال الله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ(38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(39)}.

المعنى العام: جاءت الآية الأولى خطابًا للنبي وللمسلمين بتبليغ عموم الكفار بأنهم إنْ رجعوا عن كفرهم، وكفُّوا عن محاربة المسلمين وصدِّهم عن دينهم، فإنَّ الله عز وجل يغفر لهم ما سلف من أفعالهم، وإنْ بقوا على ما هم عليه فإنَّ سُنَّة الله عز وجل في أمثالهم من الظالمين قد مضت ولا تخفى عليهم وهي أخْذهم وإهلاكهم بعد الإنذار والإعذار بالعقوبة الشديدة. ثم جاءت الآية الثانية خطابًا للمسلمين بمواصلة مقاتلة هؤلاء الكفرة المعتدين إن أصروا على ما هم عليه من الشرك والاضطهاد للمؤمنين، وذلك إلى أنْ يبقى دين الله عز وجل دون غيره، فلا يوجد شرك، ولا يُفْتَن مسلمٌ عن دينه؛ لا بالاضطهاد ولا بالتعذيب، ثم خُتمت الآيات بأنهم إنْ أقلعوا وعادوا عن كفرهم فإنَّ الله عز وجل بصيرٌ بأعمالهم يجازيهم عليها بالثواب أو العقاب.[3]

المناسبة: لما كان الصد عن دين الله تعالى وفَتْن المسلمين عن دينهم والكفّ عن ذلك سلوكًا ظاهرًا يُشاهَد ويُرى، ناسب أن يأتي الاسم (البصير) ختمًا للآيات، فهو الذي يُبصِر –يشاهد ويرى– الأشياء ظاهرها وخفيِّها، قال الرازي: "لا يخفى عليه شيء يُوصِلُ إليهم ثوابَهم"[4]. ولما كان هذا السلوك ظاهرًا ويحتاج إلى وقت، ناسب أن يأتي (تعملون) دون (تفعلون) ختمًا للسياق. ولما كان المراد توجيه المسلمين إلى الأخذ بالظاهر دون الباطن في معاملة من يدخل في الإسلام، ناسب مجيء الاسم الجليل (البصير) دون غيره تنبيهًا على ذلك.

---

(1)كانت قريش تخاف بني بكر أن يأتوهم من ورائهم لأنهم قتلوا رجلاً منهم فلّما تمثل لهم الشيطان في صورة سراقة وأمَّنَهم سكَنوا لذلك. يُنْظَر: صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، (ص:186).

(2)يُنْظَر: ابن القيم، زاد المسير، (2/216)، إسماعيل حقي، روح البيان، (3/356).

(3)يُنْظَر: الخازن، لباب التأويل، (312/2).

(4)فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (484/15).

ثانيًا: قال الله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**} [الأنفال:72].

المعنى العام: تبين هذه الآية مراتب الذين أسلموا وأنهم على ثلاثة مراتب، فتُقَرِّر عقد الموالاة والمحبة بين فريقين منهم وهما المهاجرين والأنصار، واستثنت من هذا العقد الذين آمنوا ولم يهاجروا، وبقوا في مكة، إلا إذا استنصروا لأجل الدين فعلى المهاجرين والأنصار نصرتهم، أما إذا طلبوا العون على قومٍ بينهم وبين المهاجرين والأنصار عهد بترك القتال فلا يجب نصرتهم، فالله بصيرٌ بأحوالكم إن قطعتم العهد ونصرتم فريق المسلمين الذين لم يهاجروا.[1]

المناسبة: لما كانت تتحدث الآية عن نصرة المسلمين بعضهم بعضًا، وعن حفظ العهود مع غير المسلمين، وهذا سلوك ظاهري يشاهَد ويُرَى، ناسب مجيء خاتمة الآية بهذا التركيب، إذ البصير يرى السلوك ويشاهده، والفعل (تعملون) يطلق على فعل الجوارح والذي هو سلوك ظاهري يُرَى ويُبصَر.

المطلب الثالث: الاسم الجليل (القدير)

ورد هذا الاسم مفردًا في موضع واحد من خواتيم آيات سورة الأنفال، وذلك في الآية الآتية:

قال الله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(41)}.

المعنى العام: تُبيِّن هذه الآية حُكْم ما أُخِذ من الكفار قهرًا بعد حرب، ذلك بأنْ يُقْسَم أخماس؛ فيكون أحد هذه الأخماس لله تعالى يأمر فيه بما يشاء، فيُقْسَم هذا الخمس على الرسول، وقرابته من بني هاشم وعبد المطلب، وفقراء اليتامى، والمساكين وهم ذوو الحاجة من المسلمين، وابن السبيل وهو المنقطع في سفره من المسلمين ولا يستطيع الوصول إلى بلده. ثم جاء الحثّ على الامتثال بهذه القسمة؛ إن كنتم أيها المسلمون آمنتم بالله عز وجل، وبما أنزله الله تعالى على نبيه يوم غزوة بدر حين التقى المسلمون والمشركون، ونصركم عليهم فأطيعوا وانقادوا مستسلمين لهذا الأمر؛ إذ الله عز وجل صاحب القدرة المطلقة الذي لا يعجزه شيء.[2]

المناسبة: لما كان المراد من الآية التحذير من تجاوز حدود الله عز وجل، ومن مخالفة أمره في شأن قسمة الغنائم، إذ هو المتصرف في كل شيء، ولما كان النصر الحاصل في بدر هو أحد مظاهر قدرة الله عز وجل، ناسب أن تختم الآية بإثبات صفة القدرة المطلقة لله تعالى، وذلك لإزالة العجب والغرابة من حصول هذا النصر مع قلة المسلمين عددًا وعُدَّة، إذ لا يقوى على فعل وتقدير هذا النصر إلا صاحب القدرة المطلقة، ويكون في هذا الختم حثٌّ على الامتثال لأمر الله تعالى.

(1) ينظر: التحرير والتنوير، (10/83 – 87).

(2) يُنظَر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (8/1–20).

قال سيد قطب: "فلا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يحول دون إرادته شيء، ولا يحد مشيئته شيء، يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد، وهو قادرٌ على ما يريده، غالبٌ على أمره، لا تتعلق بإرادته حدود ولا قيودٌ"[1].

وقال الشعراوي: "فإذا جاء النصر، تأكد الكل أنَّ كَفَّة المؤمنين قد رجحت، وإذا تعجَّب أحدٌ كيف ينتصر هذا العدد القليل غير المسلح على هذا العدد الكثير والمسلح، يمكن أن يرددوا قول الله تعالى: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}"[2].

المطلب الرابع: الاسم الجليل (العليم)

ورد هذا الاسم مفردًا في موضعين من خواتيم آيات سورة الأنفال، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولًا– قال الله تعالى: {**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(43)**}.

المعنى العام: تتحدث هذه الآية عن قدرة الله عز وجل المطلقة في إراءة المؤمنين المشركين ضعافًا ذا عددٍ قليل، وهذا كان له أثرٌ كبيرٌ في تثبيت قلوب المسلمين وتسكين نفوسهم، فلو رآهم المسلمون أقوياء ذا عددٍ كبير لجبنوا واختلفوا في أمر قتالهم، لكنَّ الله عز وجل عَصَمَ المسلمين من الوقوع في الجبن والتنازع والاختلاف؛ لأنه عليمٌ بما تنطوي عليه الصدور من الشعور بالضعف والخوف.[3]

المناسبة: لما بينت الآية لطف تدبير الله تعالى لشؤون عباده المسلمين، ومن ذلك تسكين النفوس وتطمين القلوب، ناسب أن يأتي الاسم الجليل (العليم) ختماً للآية، إذ يعلم الله عز وجل حقيقة الأشياء ومنها القلوب التي محل السرائر والخفيات، فهو عليمٌ بالجرأة والجبن قبل أن يَخطُرا في القلب. قال البقاعي: "ثمَّ بيَّن العلَّة في ترتيبه ذلك وإخباره بهذا الأمر المفروض بقوله: (إِنَّهُ عَلِيمٌ) أي بالغ العلم،(بِذَاتِ الصُّدُورِ) أي ضمائرها من الجراءة والجبن وغيرهما قبل خُطُورها في القلوب"[4].

قال سيد قطب: ولقد كان– سبحانه– يعلم بذوات الصدور فلطف بالعصبة المسلمة أنْ يُعَرِّضها لما يعلمه من ضعفها في ذلك الموقف فأرى نبيه المشركين في رؤياه قليلًا، ولم يُرِهم إياه كثيرًا. والرؤيا صادقةٌ في دلالتها الحقيقية، فقد رآهم رسول الله قليلًا، وهم كثيرٌ عددهم، ولكن قليل غناؤهم، قليل وزنهم في المعركة، قلوبهم خواء من الإدراك الواسع، والإيمان الدافع، والزاد النافع، وهذه الحقيقة الواقعة –من وراء الظاهر الخادع– هي التي أراها الله لرسوله فأدخل بها الطمأنينة على قلوب العصبة المسلمة، والله عليمٌ بسرائرهم، مطَّلع على قلة عددهم وضعف عُدَّتهم، وما تُحدثه في نفوسهم لو عرفوا كثرة عدوهم، من ضعف عن المواجهة وتنازع على الالتحام أو الإحجام، وكان هذا تدبيراً من تدبير الله العليم بذات الصدور"[5].

(1)سيد قطب، في ظلال القرآن: 3631/6.

(2)محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي الخواطر، (4709/8).

(3)يُنْظَر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (648/1)، الشوكاني، فتح القدير، (358/2).

(4)برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، (290/8).

(5)سيد قطب، في ظلال القرآن، (1526/3، 1527)

ثانيًا– قال الله تعالى: {**وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(75)**}.

المعنى العام: تبين هذه الآية علاقة الذين تأخر إيمانهم وهجرتهم بمن سبقهم في الإيمان والهجرة، وهي ولاية بعضهم لبعضٍ بمقتضى الإيمان والهجرة؛ إذ الحقوق والمصالح مشتركة. ثم بينت الآية أنّ الإرث بالقرابة أولى من الإرث من جهة الدين والإيمان، فالله عليمٌ بمصلحة عباده، إذ جعل الإرث في البداية بسبب الدين والإيمان والهجرة، ثم جعله بالقرابة والدم.[1]

المناسبة: لما بينت هذه الآية وما سبقها من الآيات –على مدار السورة بأكملها– أحكامًا شرعيةً عديدة، ناسب أن يأتي الاسم الجليل (العليم) ختمًا للآية وللسياق وللسورة، لبيان أنّ كل ما ورد إنما هو صادرٌ عن متصفٍ بمطلق العلم بكل شيء، فكل ما شرعه الله من أحكام صادر عن علمٍ واسعٍ محيطٍ بالمصالح الدينية والدنيوية، قادرٌ على إيقاع الثواب والعقاب.

قال المراغي: "(إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) أي فهو سبحانه إنما شرع لكم هذه الأحكام في الولاية العامة والخاصة والعهود والمواثيق وصلة الأرحام وأحكام القتال والغنائم وسنن التشريع والأحكام– عن علمٍ واسعٍ محيطٍ بكل شيءٍ من مصالحكم الدينية والدنيوية"[2].

قال السعدي: "(إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه ما يعلمه من أحوالكم التي يجري من شرائعه الدينية عليكم ما يناسبها[3]".

المطلب الخامس: الاسم الجليل (المحيط)

ورد هذا الاسم الجليل مفردًا في موضع واحد من خواتيم آيات سورة الأنفال، وذلك في الآية الآتية:

قال الله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [الأنفال:47].

المعنى العام: جاءت هذه الآية تُحذِّر المسلمين من أن يكونوا أمثال أولئك الذين خرجوا من ديارهم ابتداءً للصدّ غيرهم عن الدين الحقّ، متفاخرين متكبرين طالبين الشهرة والسمعة بين الناس، فالله عز وجل محيطٌ بنواياهم وأعمالهم؛ فسيجازيهم عليها بعقاب شديد.[4]

المناسبة: لما كان مقصد الآية هو الحثّ على إخلاص النية ابتداءً لله تعالى، وعلى الترغيب في نصرة النبي، ومؤازرة هذا الدين الحقّ، وألا يكون الباعث على الثبات أمام العدو هو البطر والرياء؛ إنما ابتغاء مرضات الله تعالى، ناسب أن تختم الآية بالاسم الجليل (المحيط) تهديدًا بأنّ الله عز وجل متصفٌ بالإحاطة المطلقة الشاملة لكل شيء ومن ذلك العلم بالنوايا والبواعث على الأشياء.

قال الرازي: " واعلم أن حاصل القرآن من أوله إلى آخره دعوة الخلق من الاشتغال بالخلق، وأمرهم بالعناء في طريق عبودية الحق، والمعصية مع الانكسار أقرب إلى الإخلاص من الطاعة مع الافتخار، ثم ختم هذه الآية بقوله: (وَاللَّهُ بِمَا

(1)يُنظَر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (660/1)، المراغي، تفسير المراغي، (44/10، 45).

(2)المراغي، تفسير المراغي، (45/10).

(3)عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ص:327).

(4)يُنظَر: ابن عجيبة، البحر المديد، (336/2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ص:322).

يَعْمَلونَ مُحِيطٌ)والمقصود أنَّ الإنسان ربما أظهر من نفسه أن الحامل له والداعي إلى الفعل المخصوص طلب مرضاة الله تعالى مع أنه لا يكون الأمر كذلك في الحقيقة، فبيَّن تعالى كونه عالمًا بما في دواخل القلوب، وذلك كالتهديد والزجر عن الرئاء والتصنُّع"[1].

ولما كان السياق فيه معنى الهلاك والوعيد والعقوبة ناسب مجيء الاسم الجليل (المحيط) في الختم دون (العليم) فالاسم (المحيط) يزيد عليه بتضمنه معنى العقوبة.

ولما ذكرت الآية سلوكًا قام به الكافرون وقد استوجب العقاب الشديد عليه، ولما كان هذا السلوك يستدعي المحاسبة عليه، ولما كان المقصد هو التنبيه على قدرة الله عز وجل المطلقة في مجازاة أصحاب هذا السلوك، ناسب أنْ تختم الآية بذكر الاسم الجليل (المحيط) دون غيره تنبيهًا على أنَّ الله تعالى محيطٌ بهم علمًا وقدرةً وقوة، لا يفلتون منه ومن عقابه وإن أمهلهم، فهو متمكنٌ منهم قادرٌ على إنزال العقوبة بهم متى استوجبت.

قال أبو القاسم النيسابوري: "(وَاللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) إحاطة علمٍ واقتدار"[2]. وقال أبو حيان: "الإحاطة هنا: كنايةٌ عن كونه تعالى لا يفوتونه، كما لا يفوت المحاطَ المحيطُ به، فقيل: بالعلم، وقيل: بالقدرة، وقيل: بالإهلاك"[3].

المبحث الثالث: تناسق ورود الأسماء الحسنى المتجاورة في خواتيم الآيات مع السياق

بعد أنْ بيَّنْتُ الدلالات اللغوية للأسماء الحسنى التي وردت في خواتيم آيات سورة الأنفال، وبعد أنْ بيَّنْتُ انسجام وتناسب ورود الأسماء التي جاءت مفردةً مع السياق والآيات، سأقوم هنا في هذا المبحث ببيان انسجام وتناسب ورود الأسماء الحسنى متجاورة، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الاسمان الجليلان (العزيز، الحكيم)

يشتمل هذان الاسمان على معانٍ عظيمةٍ تندرج تحت كل منهما، وقد ورد هذان الاسمان متجاورين في أربعة مواضع من خواتيم سورة الأنفال، وبيان ذلك في ما يأتي:

أولًا: قال الله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9)وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(10)}.

المعنى العام: هذه الآيات في سياق التذكير بنعمة الله عز وجل على المسلمين في غزوة بدر، إذ علموا أنه لا مفرَّ من القتال والمواجهة، وكانت قلوبهم خائفة مضطربة، فطلبوا الغوث من الله عز وجل بتفريج ما هم فيه، ولما رأى النبي ذلك أخذ يدعو ويتضرع طالبًا الغوث من الله عز وجل، فكانت الاستجابة بأنْ أمدهم الله تعالى بجندٍ من عنده، أمدهم بألفٍ من الملائكة تابعين لمثلهم ومتبوعين بمثلهم، وهذا الإمداد الذي هو أحد أسباب النصر ما هو إلا بشارة للمسلمين لكي تطمئن قلوبهم الخائفة بأنهم منصورون، ثم ختمت الآيات بتقرير أنَّ النصر الحقيقي وإن اتخِذَت جميع الأسباب لا يكون إلا من عند الله عز وجل، ذلك أنَّ

(1)الرازي، مفاتيح الغيب، (15/491).
(2)أبو القاسم النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن، (ص:367).
(3)أبو حيان، البحر المحيط، (1411/).

الله عز وجل صاحب العزة الذي يَقهر ولا يُقهر، ويَغلب ولا يُغلَب، والحكيم في تصريفه وتدبيره لشؤون عباده.[1] وفي هذا التذكير بيان لمدى فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم، إذ أراد لهم العزة والرفعة، بأن أجرى النصر على أيديهم، فقد كان بالإمكان أن يستأصلهم الله عز وجل بلا قتال.

المناسبة: تتحدث الآيات عن إمداد المسلمين في غزوة بدر بالملائكة، وعن حكمة ذلك الإمداد بالملائكة، فقهر بذلك أعدائه وغلبهم، ونصر رسوله وأعزَّ أولياءه. ولما كان هذا النصر والقهر لا يقوى عليه إلا عزيز، وهذا التدبير والكيفية التي حدث بها النصر والقهر لا يكون إلا من ذي حكمة مطلقة، ناسب أن تختم الآية بإثبات صفتي العزة والحكمة لله تعالى، وقصرهما عليه دون غيره.

قال ابن عاشور: "وإجراء وصفي (العزيز الحكيم) هنا لأنهما أَولى بالذكر في هذا المقام، لأنَّ العزيز ينصر من يريد نصره، والحكيم يعلم من يستحق نصره، وكيف يعطاه"[2]. وقال الألوسي: "حكيم يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة الباهرة، وجملة {إِنَّ اللَّهَ عزيزٌ حكيمٌ} تعليل لما قبلها، وفيها إشعار بأن النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكمة البالغة"[3].

ثانيًا: قال الله تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(49)}.

المعنى العام: تتحدث هذه الآية عن موقف المنافقين وضعاف الإيمان –الذين في قلوبهم شك–إذ تهكموا بالمسلمين وسخروا منهم، وذلك حين رأوا كثرة المشركين وقلة المسلمين فقالوا: إنَّ المسلمين قد اغتروا بدينهم ظانين أنهم يُنصرون لأجله، فخرجوا بلا عدد ولا عدة لملاقاة من هم أكثر عددًا وأقوى عدة، معتقدين أنَّه تهوُّرًا. ثم جاء الردّ على هؤلاء أصحاب النظرة السطحية البسيطة بأنَّ من يتوكل على الله حقَّ التوكل ويثق بنصره فإنَّ الله عز وجل ناصره ومؤيده، فهو عزيزٌ يُعِزّ أولياءه ويُذِلّ أعداءه، حكيمٌ في فعله بأن يكون النصر على أيدي القلة المستضعفين.[4]

المناسبة: لما ذكرت الآية موقف المنافقين السطحي البسيط ومعهم ضعاف الإيمان الذين يقيسون الأمور بموازين الدنيا، والذين ينحازون للأقوى عتادًا والأكثر عددا، وبينت الآية حقيقة الأمر أنه من يتوكل على الله عز وجل ويثق بنصره، يجد الله عز وجل ناصره ومؤيده، إذ كيف يُغلَب من توكل وفوَّض أمره إلى العزيز الذي يقهر ويغلب أعداءه ولا يمنعه شيء من إيقاع الغلبة بهم، وهذه الغلبة التي كانت بأيدي المسلمين القلة في العدد والعتاد إنما هي لحكمةٍ أرادها الله تعالى، فناسب أن تختم الآية ببيان علة ذلك النصر وتقرير مطلق العزة والحكمة لله تعالى، فالمسلمون قد انحازوا إلى الله المتصف بالعزة المطلقة والحكيم في تصريفه وتدبيره لشؤون عباده، بخلاف من انحاز للشيطان وللهوى ولما يراه من المصلحة هنا أو هنا. قال أبو حيان: "ومَن يَتَوَكَّلْ على اللَّه فإنَّ اللَّه عزيزٌ حكيمٌ، هذا يتضمَّن الرَّدُّ على مَن قال غَرَّ هؤلاء دينهم، فكأنه قيل هؤلاء في لقاء عدوهم هم

(1)يُنْظَر: الرازي، مفاتيح الغيب، (15/459، 460)، الخازن، لباب التأويل، (2/297).

(2)ابن عاشور، التحرير والتنوير، (78/4).

(3)الألوسي، روح المعاني، (163/5).

(4)يُنْظَر: البغوي، معالم التنزيل، (2/301)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (75/4، 76).

متوكِّلون على اللَّه، فهم الغالبون، ومَن يتوكَّلْ على اللَّه ينصرْه ويُعِزَّه، فإنَّ اللَّه عزيزٌ لا يُغالَبُ بقوَّةٍ ولا بكثرةٍ، حكيمٌ يضعُ الأشياءَ مواضعها، أو حاكِمٍ بنصره مَن يتوكَّلُ عليه، فَيُديلُ القليلَ على الكثيرِ"[1].

ثالثًا: قال الله تعالى: **{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [الأنفال:63].

المعنى العام: هذه الآية تذكيرٌ بنعمة الله عز وجل على النبي وعلى المؤمنين بأن جعل هذه الأمة أمةً متآلفة متعاونة هدفها واحد، فقد أزال الله الحسد والبغضاء وكل الخلافات التي بين المسلمين، ثم بينت الآية أنه لو أُنْفِق ما في الأرض من كنوزٍ وأموالٍ على توحيد هذه الأمة وجمع كلمتها ووحدة صفها لما تحقق ذلك، إلا أنه تحقق بهداية الله عز وجل وإرادته، فهو القوي الغالب على أمره، الحكيم في أفعاله.[2]

المناسبة: لما كان التنازع والاختلاف من أسباب الهزيمة، ولما كانت وحدة الصف والكلمة من أسباب النصر، أي حين يكونون على قلب رجلٍ واحد، وما النصر إلا بتأييدٍ من الله عز وجل، ولما كان هذا التآلف العجيب يتعذر حدوثه بسبب النسب أو المال أو الجاه والمنصب، وذلك بسبب ما تنطوي عليه هذه القلوب من العداوة والبغضاء والحسد، وإنما يحدث المتعذر بتقدير من الله تعالى القاهر الغالب على أمره، فهو الذي يقهر القلوب ويصيرها نحو هدفٍ واحد، وهو الذي لا يقوى أحدٌ على فعلٍ من أفعاله، إذ أفعاله كلها تصدر عن حكمةٍ؛ أي متقنةً على وفق المصلحة، لذا ناسب أن تختم هذه الآية بذكر صفتي العزة والحكمة لله تعالى. قال الرازي: "ثم إنَّه تعالى ختم هذه الآية بقوله: (إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أي قادرٌ قاهر، يمكنه التصرف في القلوب. ويقلبها من العداوة إلى الصداقة، ومن النفرة إلى الرغبة، حكيمٌ بفعل ما يفعله على وجه الإحكام والإتقان"[3]. وقال البقاعي: "ثم علَّل نفوذ فعله وأمره فيه بقوله: {إنه عزيز حكيم} أي لأنه لولا عزته التي تغلب كل شيء ولا يغلبها شيء وحكمته التي يتقن بها ما أراد بحيث لا يمكن لأحد أن يغير شيئاً منه لما تألفوا بعد أن كان قبل كل أحد من فريقيهم للآخر أشهى من لذيذ الحياة وصافي العيش لما بينهم من الإحن التي لا تزال تثور فتغلي لها الصدور حتى تفور بقتل الأحباب من الوالدين والأولاد والقهر بأنواع الأذى معالمجاورة المقتضية لدوام التحاسد وإثارة الضغائن، وكذا فعل سبحانه بجميع العرب بعدما كان بينهم من القتل المنتشر مع ما لهم من الحمية والأنفة الحاملة على الانتقام"[4]. وقال ابن عاشور: "وإذ كان هذا التكوين صنعًا عجيبًا ذيّل الله الخبر عنه بقوله: (إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أي قويّ القدرة فلا يعجزه شيء، مُحْكَم التكوين فهو يُكَوّن المتعذر، ويجعله كالأمر المسنون المألوف"[5].،،

رابعًا: قال الله تعالى: **{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(67)}.**

---

(1)أبو حيان، البحر المحيط، (5/336).

(2)يُنْظَر: نعمة الله بن محمود النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، (1/293)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (33/4).

(3)الرازي، مفاتيح الغيب، (503/15).

(4)البقاعي، نظم الدرر، (318/8).

(5)ابن عاشور، التحرير والتنوير، (64/10).

المعنى العام: افتتحت الآية بمعاتبة للنبي على أخذه الفداء من الأسرى، وهذا الفعل من قبيل فعل خلاف الأولى، أي ما كان ينبغي له أن يأخذ الفداء من الأسرى، والأولى قتل الكفار والمبالغة في قتلهم. ثم بينت الآية أنَّ أَخْذ الفداء إنما هو طلبٌ لحطام الدنيا الفانية، أما ما يريده الله عز وجل من إكثار القتل في المشركين إنما هو طلبٌ للثواب الدائم في الآخرة، ذلك أنَّ الله عز وجل عزيزٌ لا يُغلَب، حكيمٌ يعلم ما يصلح وما لا يصلح لكمال حال أوليائه.(1)

المناسبة: لما كان الهدف هو إعزاز الدين وإظهار عزة الإسلام والمسلمين، ليحسب الأعداء لهم ألف حساب ويَرهبونهم، فلا يفكر أحد ولا يتجرأ كائنٌ من كان على النيل من المسلمين،ناسب أن تختم الآية بهذين الاسمين الجليلين لبيان أنَّ الله عز وجل المتصف بالعزة لا يرضى لأوليائه الذلة والمهانة؛ بل العزة والكرامة، والمتصف بالحكمة يعلم ما يصلح لأمور عباده في كل زمانٍ ومكان، إذ المصلحة تقتضي قتل الأسرى لكي تظهر شدة المسلمين وعزتهم، لكن هذه الحكمة قد خفيت على النبي وعلى أصحابه. قال الزحيلي: "والله عزيزٌ يُغَلِّب أولياءه على أعدائه، ويُمَكِّنهم منهم قتلًا وأسرًا، حكيمٌ في أفعاله وأوامره، يُشَرِّع لكل حالٍ ما يليق به، ويخصه به، كالأمر بالإثخان ومنع أخذ الفداء حين كانت الشوكة والقوة للمشركين، وبذلك تتحقق عزة المؤمنين كما قال تعالى: **{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}** [المنافقون:8]"(2).

المطلب الثاني: اسما ((القوي، الشديد))

ورد هذان الاسمان متجاورين في موضع واحد من خواتيم آيات سورة الأنفال مع إضافة الاسم (الشديد) إلى (العقاب)، وذلك في الآية الآتية:

قال الله تعالى: {كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقَابِ} [الأنفال:52].

المعنى العام: تتحدث الآية عن وجه الشبه بين عادة الكفرة المشركين ومن سبقهم ممن ماثلهم كفرعون؛ فهم جميعًا متشابهون في الكفر والتكذيب، إذ كلٌّ خرج بطرًا وسمعةً وللصدّ عن سبيل الله تعالى، فجوزي كلٌّ بالإهلاك بسبب ما اقترفوا من ذنوب، فالله عزيزٌ مقتدرٌ لا يفوته شيء.(3)

المناسبة: لما بينت الآية الشبه بين عادة الكفرة المجرمين في الصدّ عن الدين الحقّ، وعادتهم في اشتداد الهجمة على المسلمين وإيذائهم، ناسب أن يأتي الاسم (الشديد) ختمًا للآية، ولما كان المشركون وأمثالهم ممن سبقهم قد استحقوا العقوبة، ناسب إضافة (الشديد) إلى (العقاب) دون (العذاب)، ولما كانت سنة الله عز وجل في هؤلاء مطردة لم يفلت أحدٌ منه، ولم يُعْجِزْه أو يمانعه شيء، ناسب مجيء الاسم الجليل (القوي)؛ فالله عز وجل تام القوة لا يعتريه ضَعْفٌ أو عَجْزٌ أو ممانَعةٌ وهو يوقع العقوبة المستحَقَّة على هؤلاء.

المطلب الثالث: اسما (السميع، العليم)

ورد هذان الاسمان متجاورين في أربعة مواضع، وبيان ذلك في ما يأتي:

(1)يُنْظَر: ابن عجيبة، البحر المديد، (347/2).
(2)الزحيلي، التفسير المنير، (72/10).
(3)يُنْظَر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (78/4).

أولًا: قال الله تعالى: {**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**} [الأنفال:17].

المعنى العام: جاءت هذه الآية تُذَكِّر المؤمنين بنعمةٍ جليلةٍ من نِعَم الله تعالى عليهم في غزوة بدر، وقد جاءت بعد توجيه المؤمنين إلى ضرورة الثبات والصبر في القتال، وحرمة الفرار يوم الزحف، فجاءت هذه الآية تخاطب المؤمنين الذين شهدوا بدرًا بأنهم لم يقتلوا المشركين بقوتهم وعدَّتهم، ولكن الله هو الذي قتلهم بأيديهم حين نصرهم وأيَّدهم بإنزال الملائكة، وبإلقاء الرعب في قلوب المشركين، وإذهاب الخوف والفزع من قلوب المؤمنين، حتى النبي حين رمى الحصى وامتلأت به عيون القوم، لم يكن ذلك إلا من الله عز وجل، إذ إنَّ كفًّا من الحصى وبرَمْيَة بشرٍ لا يمكنه أن يصل إلى عيون الجيش الكثير. ثم بينت الآية علة هذا النصر مع قلة العدد والعدَّة، وهي اختبار المؤمنين بالنعم، فيشكروا نعمته عليهم، فلا يخطر ببالهم أنَّهم هم الذين قتلوا فيغترّوا بالنصر وذيوعه بين العرب، فالله عز وجل سميعٌ لأقوالهم واستغاثتهم به، وعليمٌ بنياتهم وأحوالهم وضعفهم وحاجتهم لتأييده ومعونته.[1]

المناسبة: لما انصرف مشركو مكة منهزمين، وقد حصل لهم ما حصل من القتل والأسر، أقبل الرجل من المسلمين يقول: قَتَلْتُ وأَسَرْتُ، والآخر يقول: قَتَلْتُ،[2] فلما كان صدور هذا القول ولما كان ثمة ما يُسمع، ناسب مجيء هذين الاسمين (السميع العليم) لبيان أنَّ الله عز وجل يسمع ما من شأنه أنْ يُسمَع؛ بل أكثر من ذلك فيسمع هتافات الضمير في داخل الإنسان قبل أن يتكلم بها.

وأقول أنَّه لما كان النصر الحاصل مظنة التفاخر بقتل المشركين، ومظنة حبّ ذيوع الصيت والشُّهرة وحُسْن السُّمعة، ناسب مجيء هذين الاسمين للدلالة على أنَّ الله تعالى سميعٌ لما يقولون تفاخرًا، عليمٌ بما يجول ويخطر في النفوس. إذًا فمن تمام الحكمة أن يتجاور هذان الاسمان الجليلان، فالقول شيء، ودافعه ومبعثه ونية صاحبه شيءٌ آخر، فالله عز وجل يَسْمَع الأقوال، ويَعْلَم دوافع هذه الأقوال ومبعثها. وفي ورود اسم (السميع) إشارةٌ إلى أنَّ الله تعالى يحاسبنا على أقوالنا، وهذا يدفع إلى القول بما يرضي الله عز وجل، واسن (العليم) تحذيرٌ من أنْ لا تَصدُق النوايا في القول.

قال ابن عاشور: "والمراد بالسَّميع العالِم بأقوالهم، التي من شأنها أنْ تُسمَع، وبالعليم ما هو أعمّ من أحوالهم التي ليست بمسموعات"[3]. وقال البقاعي: "أي بالغ السَّمْع لكلّ قولٍ وإنْ خَفِي، نفسيًّا كان أو لسانيًّا"[4].

ثانيًا: قال الله تعالى: {**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**} [الأنفال:42].

المعنى العام: هذه الآية امتنانٌ من الله تعالى على المؤمنين، فهي تُصوِّر الحالة الحرجة الصعبة التي كانوا فيها قُبَيل غزوة بدر، فقد كان المسلمون في الجانب القريب من المدينة، وكان المشركون في الجانب الآخر الأبعد عن المدينة، وكانت القافلة بمكانٍ أسفل من المسلمين مما يلي الساحل، ثم بينت الآية لو كان هذا بموعدٍ ما حصل؛لبُعْد المسافة ولكراهتكم اللقاء لقوّتهم

(1)يُنْظَر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (53/3 ، 54).
(2)يُنْظَر: مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، (ص:352)، ابن القيم، زاد المسير، (195/2).
(3)ابن عاشور، التحرير والتنوير، (224/11).
(4)البقاعي، نظم الدرر، (333/2).

وضعفكم، ولكنه حصل بتقديرٍ من الله تعالى ليقضي أمرًا ما، وهو إعلاء كلمة الحقّ وإخماد كلمة الباطل، وقد فعل الله تعالى ذلك لإقامة الحجة؛ فيكفر المرء عن بيِّنةٍ واضحة، وهي نصر المسلمين مع قلتهم وضعفهم، ويموت من يموت كافرًا عن حجةٍ واضحةٍ قد قامت عليه وعاينها، ويعيش من يعيش مسلمًا عن بينةٍ واضحةٍ، فالله عز وجل سميعٌ لأقوال عباده، عليمٌ بأفعالهم.[1]

المناسبة: لما كان الرياء والسمعة والبطر هو الذي أورد مشركي مكة أرض المعركة، وكان من مقولتهم: غارَّ هؤلاء دينهم، وكانت مقولة أبي جهل المشهورة، ناسب الختم بالاسمين (السميع، العليم) فالله سميعٌ لما تقولون بألسنتكم وفي أنفسكم، وعليمٌ بما تضمرونه في صدوركم من النوايا، قال الرازي: "أي يسمع دعاءكم ويَعْلَم حاجتكم وضعفكم، فأَصْلَح مَهَمَّكم"[2]. وقال الخازن: "يَسْمَع دعاءكم، ويَعْلَم نيَّاتكم، ولا تخفى عليه خافية"[3].وقال أبو حيان: "وَخَتَمَ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ لأنَّ الكفر والإيمان يستلزمان النُّطق اللسانيّ والاعتقاد الجناني، فهو سميعٌ لأقوالكم، عليمٌ بنيَّاتكم"[4].وقال أبو السعود: "(وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) أي بكفر من كفر وعقابِه، وإيمانِ من آمن وثوابِه، ولعلّ الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين على القول والاعتقاد"[5]. وقال سيد قطب: "فهو -سبحانه- لا يخفى عليه شيء مما يقول فريق الحق أو فريق الباطل، ولا شيء مما يخفونه في صدورهم وراء الأقوال والأفعال، وهو يدبِّر ويقدِّر باطلاعه على الظواهر وعلمه بالسّرائر"[6]. وقال ابن عاشور: "وقوله: (وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) تذييل يشير إلى أنَّ الله سميعٌ دعاء المسلمين طلب النصر، وسميعٌ ما جرى بينهم من الحوار في شأن الخروج إلى بدر، ومن مودَّتهم أنْ تكون غير ذات الشوكة هي إحدى الطائفتين التي يلاقونها، وغير ذلك، وعليمٌ بما يجول في خواطرهم من غير الأمور المسموعة، وبما يصلح بهم ويبني عليه مجد مستقبلهم"[7].

ثالثًا: قال الله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال:53].

المعنى العام: تُبيِّن هذه الآية كمال عدل الله عز وجل في سُنَّته؛ إذ لا يغير نعمةً أنعمها على عبدٍ إلا بذنبٍ أحدثه، ومن ذلك ما حصل لكفار مكة في غزوة بدر، ومن سبقهم من الأقوام المكذبة من الاستئصال؛ إنما كان بسبب كفرهم وبطرهم وفسادهم وسوء أخلاقهم، فالله سميعٌ للأقوال، عليمٌ بالأفعال.[8]

المناسبة: لما ذكرت الآية تغيير الله لأحوال عباده، وهذا يدل على مطلق التصرف من الله عز وجل، فدلّ على أن جميع الخلق تحت رقابة الله عز وجل، فناسب أن يأتي الاسمين الجليلين (السميع، العليم) ختمًا للآية، فالله سميعٌ للأقوال وإن كانت حديثًا

(1)يُنظَر: البقاعي، نظم الدرر، (285/8 – 289).
(2)الرازي، مفاتيح الغيب، (487/15).
(3)الخازن، لباب التأويل، (315/2).
(4)أبو حيان، البحر المحيط، (329/5).
(5)أبو السعود، إرشاد العقل السليم: (24/4).
(6)سيد قطب، في ظلال القرآن، (1526/3).
(7)ابن عاشور، التحرير والتنوير، (21/10).
(8)يُنظَر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (78/4)، الشوكاني، فتح القدير، (363/2).

داخل النفس، عليمٌ بالنوايا ومبعث هذه الأقوال والأفعال. وجاء هذان الاسمان متجاورين للتأكيد على أنَّ هذا الجزاء عدلٌ لا ظلم فيه، فهو من سميعٍ عالمٍ بحقائق الأشياء.

رابعًا: قال الله تعالى: **{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ}** [الأنفال:61].

المعنى العام: هذه الآية توجيهٌ للنبي وللمؤمنين بقبول الصلح والمسالمة إذا رغب العدو فيه ومال إليه، فيتقوا بالله حافظًا ومؤيدًا، ويفوضوا أمرهم إلى الله عز وجل ولا يخشوا مخادعة عدوهم لهم، فاللَّه عز وجل يكفيهم غدر عدوهم ومكره، وينصرهم عليه، فالله تعالى لا يخفى عليه شيءٌ من أمرهم، فهو سميعٌ لأقوالهم، عليمٌ بأحوالهم ونواياهم.(1)

المناسبة: لما كان قبول المسالمة والصلح من العدو فيه مظنة الغدر والخديعة، إذ من المحتمل أن يضمر العدو الغدر والمكر ويطلب المسالمة والصلح، ناسب الختم بالاسمين (السميع، العليم) متجاورين؛ فالله سميعٌ لأقوالهم وإن كانت حديثًا في داخلهم مع أنفسهم، عليمٌ بنواياهم ودوافع ومبعث ميلهم للمسالمة والصلح، فيكون في هذا الختم زيادةً في يقين المؤمنين ألا يخشوا غدر أحدٍ ما داموا مفوضين أمرهم إلى الله عز وجل.

قال البقاعي: "ثمَّ علَّل الأمر بالتَّوكُّل الذي معناه عدم الخوف من عاقبة أمرهم في ذلك بقوله: (إِنَّهُ هُوَ) أي وحده،(السَّمِيعُ) أي البالغ السَّمْع، فهو يسمع كل ما أبرموه في ذلك وغيره سرًّا كما يسمعه علانية،(الْعَلِيمُ) أي البالغ العلم وحده، فهو يعلم كل ما أخفوه، كما أنَّه يعلم ما أعلنوه"(2).

المطلب الرابع: اسما (الغفور، الرحيم)

ورد هذان الاسمان متجاورين في موضعين من خواتيم آيات سورة الأنفال، وبيان ذلك في ما يأتي:

أولًا: قال الله تعالى: {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنفال:68، 69].

المعنى العام: هذه الآيات في سياق المعاتبة على أخذ الفداء من الأسرى، فتُبيِّن الآية الأولى أنَّه لولا حكم الله عز وجل أَزَلًا ألا يعاقب المخطئ في اجتهاده، أو أنَّه غفر لأهل بدر، أو أنَّه سيُحِلّ لهذه الأمة الغنائم، لأصاب المؤمنين في بدر عذابٌ عظيمٌ بسبب ما أخذوا من الفداء للأسرى. ثم أَذِنَت وأباحت الآية الثانية للمؤمنين بأن يأكلوا من الغنائم ومن جملتها أموال فداء الأسرى، فلا حرج ولا شبهة حرمة في ذلك، ثم وجَّهَت المؤمنين إلى تقوى الله عز وجل بطاعته في الأمر والنهي، ثم أخبرت عن صفات الله عز وجل، فهو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم؛إذ غفر لهم ورفع العذاب عنهم، وأباح لهم الغنائم.(3)

المناسبة: لما كان أَخْذ الفداء اجتهادًا من النبي، وكان الأَولى قَتْل الأسرى، وكلّ اجتهادٍ عُرضةٌ للصّواب والخطأ، ولما خيف معه مؤاخذة الله عز وجل لهم على ذلك، وقد غفر لهم وعفا عنهم ولا يريد مؤاخذتهم بما فعلوا، ناسب مجيء الاسم الجليل (الغفور)، ولما كان هذا تفضّلًا من الله تعالى وإحساناً، إذ لم يُصِبهم الضّرّ، ناسب مجيء الاسم الجليل (الرحيم) مجاورًا للاسم (الغفور). ولما كان مراد الآيات بثّ الطمأنينة والارتياح في نفوس وقلوب المؤمنين، ناسب مجيء هذين الاسمين (الغفور

(1)يُنظَر: أبو الليث السمرقندي، بحر العلوم، (29/2).

(2)البقاعي، نظم الدرر، (317/8).

(3)يُنظَر: الطبري، جامع البيان، (70/14 – 72)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4–90).

الرحيم) متجاورين، إذ فيهما الإشارة إلى ما يرجوه العبد في دنياه وآخرته وهو الرحمة والمغفرة، فالله تعالى ما خَلَق العباد إلا ليرحمهم، وما أذنبوا إلا ليغفر لهم، عن أبي هريرة عن رسول الله قال:[لَوْ أَنَّكُمْ لَا تُخْطِئُونَ لَأَتَى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ يَغْفِرْ لَهُمْ][1].

وفي هذين الاسمين (الغفور الرحيم) إشارةٌ إلى أن العبد لا يمكن له الاستغناء عن هاتين الصفتين لله تعالى، ولا الاكتفاء بواحدةٍ دون الأخرى، فالمغفرة ومحو الذنوب لا تكفي، إذ الرحمة مطلوبة في الدنيا للحياة، وفي الآخرة لاجتياز الصراط ودخول الجنة. ولو كانت الرحمة فقط، فما فائدة أن يغدق الله تعالى علينا نعمه دون أن يغفر لنا الذنوب ويمحها. ومن تمام النعمة أنّ الله تعالى يغفر، ثمَّ يرحم، فإذا كانت المغفرة منه بسبب استغفارنا، ثمَّ لأنَّه غفور، فالرَّحمة منه لغير سببٍ منّا، ولا تكون إلا لأنَّه رحمانٌ في ذاته، رحيمٌ بعباده، تفضُّلًا منه ومنَّة.

وشيءٌ آخر أودّ الإشارة إليه، وهو أنَّه لما كان الأكل من الغنائم محذورًا، ثمَّ أباحه الله تعالى فلا حرج في أخذه والأكل منه، ناسب مجيء هذين الاسمين (الغفور الرحيم) لبيان أنّ الله تعالى غفورٌ لما قدموا من التصرف في الغنائم ومن ضمنها الأسرى إذ فادوهم، رحيمٌ بهم حين أباح لهم التصرّف والأكل من الغنائم.

ثانيًا: قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [الأنفال:70].

المعنى العام: هذه الآية في سياق الحديث عن الأسرى وأَخْذ الفداء منهم، إذ شقَّ على الأسرى دَفْع أموالهم، فجاءت هذه الآية استمالةً لهؤلاء وترغيبًا لهم في الإسلام، إذ به يحصل لهم خيرٌ مما أُخِذ منهم، وجاءت تهديدًا وإنذارًا إن هم بقوا على الكفر، فإن يعلم الله عز وجل أنَّ لديهم حُسْن النية وإيمانًا صادقًا والعزم على طاعة الله ورسوله، والإقلاع عن المعاصي، والعزم على نصرة الرسول، يخلفهم في الدنيا أفضل مما أُخِذ منهم من الأموال، وفي الآخرة لا يؤاخذهم بما كان منهم من الشرك والمعاصي، إذ هو الغفور لمن تاب، والرحيم بالمؤمنين التائبين فلا يؤاخذهم بذنوبهم بعد التوبة منها.[2]

المناسبة: لما كان مقصد الآية ترغيب الأسرى في الإيمان، وقد كان هناك ذنبٌ قد حدث، وتاب صاحبه منه وأقلع عنه، ناسب مجيء الاسمين الجليلين (الغفور الرحيم) ختمًا للآية، ليبين أنَّ الله تعالى يغفر له ذلك الذنب أي يستره، ويرحمه فلا يعاقبه عليه، وذلك ترغيبٌ في التوبة والإنابة.

قال الطبري: "إنَّ ربِّي هو السّاتر على ذنوب التّائبين إليه من ذنوبهم، الرَّحيم بهم أنْ يعذبهم بعد توبتهم منها"[3]. وقال ابن كثير: "وهو الغفور الرحيم، ترغيبٌ لهم إلى التوبة والإنابة، أي ومع هذا كلّه إنْ رجعتم وتبتم تاب عليكم، وعفا عنكم، وغفر ورحم"[4].

(1)أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب التوبة والإنابة، (ح:7622، 274/4). قال الحاكم: "صحيح الإسناد"، وصححه الذهبي.

(2)يُنظَر: الطبري، جامع البيان، (14/72)، إسماعيل حقي، روح البيان، (375/3).

(3)الطبري، جامع البيان، (263/16).

(4)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (254/7).

المطلب الخامس: اسما (العليم، الحكيم)

ورد هذان الاسمان متجاورين في موضع واحد من خواتيم سورة الأنفال، وذلك في الآية الآتية:

قال الله تعالى: **{وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** [الأنفال:71].

المعنى العام: تتحدث هذه الآية عن أسرى المشركين بأنهم إنْ أرادوا الخيانة بما أظهروا من المسالمة والإسلام، فقد أمكن الله عز وجل نبيَّه منهم، فليتوقعوا معاودة القتل والأسر إن عادوا لمثل ما كانوا عليه من الكفر والتكذيب والصدّ عن دين الله تعالى، فالله عز وجل عليمٌ بنوايا خلقه وتحركاتهم، حكيمٌ في تدبيره وأفعاله ومجازاتهم بأعمالهم.[1]

المناسبة: لما كانت الآية في سياق التوجيه والتعليم وتبيين الأحكام للمؤمنين، ناسب الختم بالاسمين الجليلين (العليم الحكيم)، ولما كان المقصد هو التوجيه والتعليم ناسب أن يتقدم الاسم (العليم) على (الحكيم)،وهذا التبيين لا يكون إلا من عليمٍ بالأشياء على حقيقتها، وحكيمٍ متقنٍ للأشياء، ولما ذكرت الآية أولًا خيانة المشركين ومن ثم ذكرت التمكن منهم في بدر قتلًا وأسرًا، ناسب أن يتقدم (العليم) على (الحكيم)، فالله العليم العالم بالسرائر والخفيات، والحكيم في التدبير فأمكن من المشركين بتسليط المؤمنين عليهم، ولما جرى التمكُّن منهم في غاية حُسْن التدبير والتقدير، وفي غاية الإحكام والإتقان، وهو من قبيل القضاء بين الخلق ناسب مجيء الاسم الجليل (الحكيم) إذ يتضمن كل هذه المعاني.

وفي بيان مناسبة هذا التجاور قال أبو السعود: "(والله عَلِيمٌ) فيَعْلَم ما في نيّاتهم وما يستحقونه من العقاب، (حكيم) يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمتُه البالغة"[2]. وقال: "والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم، ودلالة الحكمة على اتقان الفعل"[3]. وقال البقاعي: "أي الذي له الإحاطة بكل شيء (عليمٌ) أي بالغ العلم مطلقًا، فهو يعلم الأشياء كلها التي منها أحوالهم،(حكيمٌ) أي بالغ الحكمة، فهو يتيقن كل ما يريده، فهو يوهِن كيدهم ويتقن ما يقابلهم به فيلحقهم لا محالة، وكذا فعل سبحانه في أبي عزة الجمحي؛ فإنه سأل النبي في المنّ عليه بغير شيء لفقره وعياله، وعاهده على أن لا يظاهر عليه أَحَدًا ومدحه، ثم خان فظهر به في غزوة حمراء الأسد عقب يوم أُحُد أسيرًا، فاعتذر له وسأله في العفو عنه، فقال[4]® لا تمسح عارضيك بمكة وتقول: سَخِرْتُ بمحمد مرتين، لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين، وأمر به فضُربت عنقه"[5].

المطلب السادس: اسما (المولى، النصير)

ورد هذان الاسمان متجاورين في موضع واحد من خواتيم آيات سورة الأنفال، وكلٌّ منهما مضافٌ إلى الفعل (نِعْمَ)، وذلك في الآية الآتية:

قال الله تعالى: **{وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}** [الأنفال:40].

---

(1)يُنْظَر: الزمخشري، الكشاف، (239/2)، الرازي، مفاتيح الغيب، (515/15).

(2)أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (37/4).

(3)أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (273/6).

(4) يُنْظَر الحديث: أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، ح:18029، (111/9).

(5)البقاعي، نظم الدرر، (335/8).

المعنى العام: هذه الآية في سياق حثّ المشركين على الانتهاء عن الكفر والتكذيب والصدّ عن دين الله تعالى، وتوجيهٌ للمؤمنين بأنه إنْ أعرض هؤلاء عن سماع دعوة الحقّ، ولم ينتهوا عن كفرهم وصَدِّهم، فلا تبالوا أيها المؤمنون ولا تكترثوا بذلك، فاصبروا وجِدُّوا وقاتلوهم إذ الله عز وجل مولاكم يتولى أموركم بالإعانة والتأييد، فهو لا يَضيع من تولاه، ولا يُغْلَب من نصره.[1]

المناسبة: لما سُبِقت هذه الآية بالأمر بقتال المشركين، والقتال يحتاج إلى معونة وتأييد ونصرة، جاءت هذه الآية وعدًا بالإعانة والتأييد والنصر، ولما ابتدأت هذه الآية بذكر العداوة وبذكر موقف يتطلب النصرة، ناسب ختم الآية والسياق التي فيه بهذين الاسمين الجليلين (المولى، النصير)، ولما كانت المعونة والتأييد من معاني الولي الذي يتولى أمور خَلْقه، ولما كان التأييد يكون حصوله قبل حصول النصر، ناسب أن يتقدم الاسم الجليل (المولى) على (النصير).

وهذا التجاور يرسخ مفهومًا وهو أنَّ (المولى) هو الذي يدفع عن المؤمنين المكروه، و(النصير) هو الذي يساندهم فيمكنهم من الظهور على هذا المكروه فينصرهم عليه، كأن المولى لدفع الشدة، وإزالة المكروه، والنصير لتمكين المؤمنين من الظهور على شدتهم، فيجلب لهم المنفعة والنصرة.

إنَّ أعداء المسلمين يكيدون لهم، ويضمرون لهم العداء، وليس هذا فحسب؛ بل يريدون صَدَّ الناس عن الإسلام وعودتهم إلى الكفر والشرك، فلزم هذا إعانةً وتأييدًا ونصرةً ممن لا يُخذَل أو يُغلَب أولياؤه، فناسب أن تختم الآية بالاسم الجليل (المولى) فالله عز وجل مؤيدكم ومعينكم يدفع عنكم العداوة، ويصد كيدهم بكم، وبالاسم الجليل (النصير) فالله عز وجل يحقق النصر لكم عليهم.

ويرى الألوسي أنَّ تكرار الفعل (نِعْمَ) لتأكيد كفايته عز وجل لأوليائه، فقال: "وتكرير الفعل في الجملتين مع إظهار الاسم الجليل لتأكيد كفايته عزَّ وجلَّ، مع الإشعار بالعلية"[2].

(1)يُنْظَر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (2/528).

(2)الألوسي، روح المعاني، (45/3).

المبحث الرابع: الدلالات الإحصائية لورود الأسماء الحسنى في خواتيم الآيات

بعد حصر الأسماء الحسنى التي وردت في سورة الأنفال، قمت بحصر ورودها في القرآن الكريم كله في خواتيم الآيات، سواء وردت مفردةً أم متجاورةً، وملاحظة توزيعها بين السور المكية والمدنية، والجدول الآتي يوضح إحصائية الورود في القرآن كله:

الاسم	مفرد		متجاور		الإجمالي
	مكي	مدني	مكي	مدني	
العليم	18	37	35	62	152
الرحيم	1	2	45	66	114
الغفور	–	–	35	54	89
الحكيم	–	–	30	58	88
العزيز	–	–	48	38	86
السميع	1	1	17	26	45
القدير	11	26	4	1	42
البصير	9	18	10	5	42
الشديد	2	11	1	1	15
القوي	3	6	–	–	9
المحيط	3	5	–	–	8
النصير	–	–	–	3	3
المولى	–	–	–	2	2

ويمكنني تسجيل الملاحظات الآتية:

أولًا: نلاحظ من خلال إجمالي ورود الأسماء الحسنى نجد أنَّ بعض الأسماء وردت بنسبة عالية في القرآن الكريم كله، وتوزعت بنسب مختلفة بين السور المكية والمدنية، فمن المعلوم أنَّ هناك خصائص للآيات والسور المدنية تميزها عن غيرها من الآيات والسور المكية، وذلك تبعًا لظروف كل مرحلة منهما، فالآيات والسور المدنية تتناول الأحكام والتشريع، والمكية تركز على أمور وقضايا العقيدة وأمهات الأخلاق.

وبالتأمل في الأسماء الحسنى التي وردت في خواتيم آيات السور المدنية، ومنها سورة الأنفال موضوع هذه الدراسة، نجد التناسب والتناسق والانسجام فيما بينها وبين الموضوعات التي جاءت تذييلًا لها، وهذا كان واضحًا في المبحثين السابقين من هذا البحث. وبالتأكيد يكون الشيء ذاته في السور المكية.

ثانيًا: نلاحظ ورود بعض الأسماء في السور المدنية ضعف ورودها في المكية، وعلة ذلك أنَّ المرحلة المدنية هي مرحلة تأسيس الدولة، وقد انجلت أمور العقيدة واستقرت في نفوس المسلمين، فجاء وقت نزول تفاصيل التشريع، وهذا بحاجة إلى ورود أسماء حسنى تتناسب مع تفاصيل التشريع الواردة، لا يناسب الختم بها الآيات المكية.

ثالثًا: مجيء اسم (العليم) بأعلى نسبة ورود، وهذا للدلالة على أنَّ أحكام التشريع قائمةٌ على العلم المطلق من العليم، الذي يعلم نفس الإنسان وحاله وما يَصلُح له وما يُصلِحُه، وجاء تجاور الاسمين (العليم الحكيم) بنسبة كبيرة؛ لتعزيز هذا المعنى ولترسيخ مفهوم أنَّ هذه الأحكام الواردة صادرة من متصفٍ بالعلم المطلق، والحكمة المطلقة بكل ما تحمله من معنى، فيكون لورودهما دور في دفع المسلم نحو التسليم والرضا والقبول بتلك الأحكام الشرعية.

رابعًا: يمكن تقسيم الأسماء الوارد في سورة الأنفال ويكثر ورودها في السور المدنية إلى مجموعتين اثنتين:

1-مجموعة الرجاء وبث السكينة والأمل وهي الأسماء: العليم، والرحيم، والحكيم، والغفور، والعزيز، والمولى، والنصير.

2-مجموعة التحذير والترهيب والمراقبة وهي الأسماء: السميع، والقدير، والبصير، والشديد، والقوي، والمحيط.

أما المجموعة الأولى فقد جاءت تحيي الأمل في النفوس وتجعلها لا تقنط ولا تيأس من خالقها، والمجموعة الثانية من شأنها أنْ تدفع المسلم نحو الطاعة والامتثال، ففيها ما فيها من التحذير واستشعار المراقبة، فيكون لها دورٌ كبيرٌ في ضبط سلوك الناس وفق شرع الله.

خامسًا: نلاحظ من خلال التأمل في الأسماء التي أعطت أعلى نسبة ورود في القرآن كله، أنَّ أسماء المجموعة الأولى – مجموعة الأمل والرجاء– قد وردت بنسبة أعلى من أسماء المجموعة الثانية –الترهيب والتحذير– وهذا له دلالة وهي تغليب الرجاء على الخوف. ويؤكد هذا ورود الاسمين (الغفور الرحيم) متجاورين بنسبةٍ أكبر من غيرهما، فقد ورد اسم (الرحيم) في 88 موضعًا، وجاور اسم (الغفور) في اثنين وسبعين موضعًا، وهذا يدل على سعة رحمته تعالى ومغفرته، ويدل على أنَّ الرحمة والمغفرة هي الأصل، وأنَّ الله ما خلق العباد ليعذبهم، وفي المقابل لم ترد الأسماء التي تبعث الخوف والرهبة بكثرة، وذلك لترسيخ مفهوم وهو لا يأس ولا قنوط مع الله الغفور الرحيم، وأنَّ رحمة الله سبقت غضبه، وأنَّ رحمته وسعت كل شيء.

سادسًا: تأتي الأسماء التي تمثل مجموعة استشعار الرقابة: العليم، والسميع، والبصير، والمحيط، والشديد، والقوي في خواتيم آيات ذات بناء محكم له دورٌ في تصحيح المسار وضبط السلوك، إذ تقرِّر هذه الأسماء أنَّ الله يحيط بالإنسان علمًا وقدرةً، وأنَّ الإنسان تحت علم الله، وسمعه، وبصره، وقدرته، وهذا يجعل الإنسان يراقب أعماله ويحاسب نفسه، ويستشعر مراقبة مولاه، فتَخلُص النية ويستقيم العمل، فيكون في دائرة الإحسان.

ثامنًا: مجيء الاسمين (الغفور الرحيم) متجاورين بنسبة كبيرة في السور المدنية ومنها سورة الأنفال، ذلك أنَّ استشعار الرقابة من العبد يجعله يجتهد نحو الطاعة والاستقامة، لكن قد يقع منه الزلات، فيأتي هذان الاسمان لإزالة الوحشة، وترسيخ مفهوم لا يأس ولا قنوط مع الله، فالإنسان تحت رقابة الله، وفي نفس الوقت في دائرة رحمته ومغفرته الواسعتين.

المبحث الخامس: تناسق ورود الأسماء الحسنى في إثر بعضها

نلاحظ أنَّ سورة الأنفال من خلال ورود الأسماء الحسنى في إثر بعضها على هذا النحو والترتيب جاءت ترسخ مفاهيم عديدة ينبغي على المؤمن استحضارها في طريقه إلى الله تعالى، وبيان ذلك فيما يأتي:

- أول ورود للأسماء الحسنى في السورة هو الورود المتجاور للاسمين العزيز الحكيم في خاتمة الآية 10، إذ السورة تتحدث من بدايتها عن مواجهة الباطل للحق وتصديه له، فيأتي اسم (العزيز) ليبعث العزة في نفس المؤمن فلا يخشى أحدًا، إذ (العزيز) الذي لا يغالَب في إرادته ولا يُقهر، وما دام الأمر كذلك ينبغي التضرع إلى الله العزيز ليكتسب المؤمن عِزةً لا تُغلَّب، وقد سُبِق هذا الاسم بذكر تضرع النبي والمؤمنين إلى الله {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ}، ثم جاءت الآيات بعده بذكر النتيجة، فبينت ما حصل للمشركين من القتل والأسر.

أما اسم (الحكيم) يبعث المؤمن على التسليم لكل ما يحدث له وحوله من أقدار إذ هي من حكمة الله؛ إذ (الحكيم) الذي يضع الأشياء مواضعها، فكان لقاء بدر هو حكمة من الله، فيكون في هذا الاسم بعث التسليم والرضا والانقياد لأمر الله، فلا يقف المؤمن حائرًا أمام ما يحدث له من ابتلاءات، إذ هي إنعامٌ حسن عليه {وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا}، وقد تجلت معاني الحكمة في إذلال المشركين بأيدي المؤمنين.

ولترسيخ هذه المفاهيم نجد هذا التجاور للاسمين (العزيز الحكيم) يرد في أربعة مواضع ختمًا للآيات في سورة الأنفال (10، 49، 63، 67).

- ثم يرد الاسم (الشديد) مضافًا إلى (العقاب) في خاتمة الآية 13، ليُبيِّن أنَّ ما حصل للمشركين إنما هو عن ذنبٍ قد استحقَّ العقوبة العاجلة؛ بل الشدة فيها وهي من معاني العزة، وهذا يجعل المؤمن يستشعر معية الله العزيز الذي لا يترك أولياءه، وشيئًا آخر هو أنَّ هذا الاسم ورد ختمًا للآية التي تتحدث عن سبب ما حدث للمشركين من القتل والأسر والذل، وهو مُشَاقَّة الله ورسوله، فيكون في وروده حثًّا للمؤمنين على تصحيح المسار والامتثال لأمر الله ونهيه.

وهذه المعاني تتجلى في كل السياقات التي ورد فيها (شديد العقاب) ختمًا لها في سورة الأنفال وهي الآيات (13، 25، 48).

- ثم يأتي التجاور للاسمين (السميع العليم) ختمًا للآية 17، وهذا التجاور يوقِظ النفس ويوجهها نحو طاعة الله والامتثال لأمره ونهيه، واستشعار مراقبة الله الذي لا يخفى عليه شيء، فيأتي هذا الورود لضبط السلوك وفق منهج الله. ويضيف اسم (العليم) أنَّ معرفة الحقّ ومراد الله من أمره ونهيه تستلزم العلم.

وهذه المعاني تتجلى في كل مواضع ورود هذا التجاور، وهي خواتيم الآيات (17، 42، 53، 61).

- ثم يرد (شديد العقاب) ختمًا للآية 25، وهو يأتي في سياق الدعوة إلى الاستجابة لله وللرسول، أي التقوى ولزوم الاستقامة، وإلا فالله شديد العقاب أي يعجل العقوبة لمخالفي أوامره، فيكون في وروده ضبطًا للسلوك وفق منهج الله، وجاء بعده مباشرة التحذير من الخيانة وعن الافتتان بالمال والولد ، ويليها الحديث عن ثمرة التقوى، كل ذلك يأتي لضبط السلوك وتصحيح المسار.

- ثم يأتي اسم (البصير) ختمًا للآية 39، والذي فيه معنى التحذير والتهديد، إذ يرى ويشاهد أفعال الكفار والمنافقين والمعوقين، فقد جاء في سياق الحديث عن أفعال المشركين؛ من المكر وتبييتهم قتل النبي، وصَدِّهم عن البيت الحرام، وإنفاقهم بسخاء لتحقيق ذلك، وصلاتهم التي هي بدافع الشغب والصد أيضًا، فيكون في هذا الورود استشعار المراقبة، وضبط السلوك إذ الأعمال لا تخفى على البصير.
- ثم يأتي مباشرة الورود المتجاور للاسمين (المولى، النصير) في خاتمة الآية 40، وهذا يبعث القوة في نفس المؤمن وهو يواجه التحديات بسبب إيمانه بالله والتزامه بمنهجه، ولسان حال هذا التجاور: لا تخشوهم وتذكروا أنَّ الله نعم المولى ونعم النصير.
- ثم يأتي اسم (القدير) في خاتمة الآية 41، والتي تتحدث عن حكم شرعي وهو تقسيم الغنائم، ومن معانيه أنه تعالى قدَّر لعباده الانتفاع بالغنائم، وفيه معنى التحذير من مخالفة أمره في قسمة الغنائم إذ هو صاحب القدرة المطلقة، ومن مظاهر قدرته أنْ جعل المشركين وأموالهم غنيمة للمسلمين، فيزيل هذا الاسم العجب والغرابة عما حدث مع كثرة المشركين وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم.
- ثم يأتي التجاور (السميع العليم) مرة أخرى في خاتمة الآية 42، وذلك لاستشعار المراقبة وضبط السلوك وتصحيح المسار، والقبول بقسمة الغنائم وفق ما شرع الله، مع الرضا والتسليم والانقياد.
- ثم يأتي اسم (العليم) منفردًا في خاتمة الآية 43، إذ ورد في سياق الحديث عن الأمور الخفية والخواطر التي لا يطَّلع عليها البشر، فيكون في وروده التحذير من حلول عقاب الله، واستشعار المراقبة إذ هو عليمٌ بالأعمال وبواعثها، وقادرٌ على إيقاع الثواب والعقاب.
- ثم يأتي الاسم (المحيط) ليغرس مفهومًا أنَّ الله تعالى قد أحاط بكل شيءٍ علمًا؛ إحاطة قدرةٍ وشمولٍ وعلمٍ وإنزال عقوبة، يوقع العقوبة بمن استحق عقب فعله، فهو شديد العقاب، ولهذا جاء الورود الثاني للاسم (شديد العقاب) في خاتمة الآية 48.
- ثم عاد ورود الاسمين (العزيز الحكيم) متجاورين في خاتمة الآية 49، والتي تتحدث عن شائعات المنافقين وتثبيطهم المؤمنين، وذلك لبثّ السكينة والطمأنينة، فهو عزيزٌ ورغم عزته يمهل هؤلاء، وهذا الإمهال لحكمة ينبغي التسليم لها، وألا يستعجل المؤمنون التخلص من المنافقين والمثبطين، وفي الوقت نفسه لا يكترثون بتلك الشائعات لئلا تثنيهم عن المضي في طريق الدعوة.
- ثم يأتي التجاور (قوي شديد العقاب) في خاتمة الآية 52،وذلك بعد التذكير بمصارع الغابرين، وأنَّ هذه هي سنته المطردة في استئصال المجرمين، فيكون في هذا الورود طمأنةٌ للمؤمنين وتحذيرٌ للمشركين أنَّ عقوبة الله لا تجد ممانعة من احد ودون أنْ يفلت منه أحد، وفيه حثٌّ للمؤمنين على تصحيح المسار وضبط السلوك إذ يوقع العقوبة على مستحقيها.

- ويؤكد هذا ورود التجاور (السميع العليم) مرة أخرى في خاتمة الآية 53، إذ فيه تهديدٌ ووعيدٌ وحثٌّ على لزوم التقوى والاستقامة على منهج الله، وسبيل ذلك استشعار الرقابة.
- ثم ورود التجاور ذاته (السميع العليم) مرة ثالثة في خاتمة الآية 61، وذلك بعد ورود بعض الأوامر والنواهي والمحاذير، فيأتيان للتأكيد على استشعار الرقابة لضبط السلوك من جهة، ومن جهةٍ أخرى طمأنة للمؤمنين تجاه مكر وكيد أعدائهم بهم، ومن جهة ثالثة تهديد لكل من يعادي المؤمنين إذ لا يخفى عليه شيءٌ من شأنه أنْ يُسمَع ولا شيءٌ من شأنه أنْ يُعْلَم.
- ثم يأتي التجاور (العزيز الحكيم) في موضعين متتاليين وهما الآيتان 63 و67، وذلك للتأكيد على أنَّ العزةَ لله تعالى وللمؤمنين، وهذا يبعث السكينة والطمأنينة في نفوسهم، والرضا والتسليم بما يحصل إذ هو صادرٌ عن حكمة وإن خفيت عليهم.
- ثم يأتي تجاور الاسمين (الغفور الرحيم) في موضعين متتاليين: خاتمة الآية 69 و70، وذلك بعد ورود أوامر ونواهٍ ومحاذير وتهديدات للمخالفين، وهذا يُفزِع النفس ويجعل القلب خائفًا مضطربًا من ارتكاب شيءٍ من المنهيات أو ترك أمرٍ من الأوامر أو التقصير فيه، فيشقّ ذلك على المؤمنين إذ هم على يقين بالبعث والجزاء، فيأتي هذان الاسمان بهذا التجاور لإزالة الفزع وتسكين القلب، ليحل الأمل والرجاء محل الخوف، وهذا يدفع المؤمنين للعمل، وألا يوقفهم ذنبٌ أو معصية.
- ثم يأتي تجاور الاسمين (العليم الحكيم) في خاتمة الآية 71، وذلك في سياق الخوف من المنافقين ومن الخيانة ونبذ العهود والمواثيق، وهذا يُرسِّخ مفهومًا وهو الأخذ بظواهر الأمور، أما بواطنها فمردها إلى الله العليم بالسرائر، فقد تجلت حكمته تعالى في غزوة بدر إذ تمكن المسلمون من المشركين قتلًا وأسرًا، إضافة إلى ما يفيده اسم (الحكيم) أنَّ هذه الأحكام إنما هي صادرةٌ عن حكيم، فلا يشغل المؤمنون بالهم بالبحث عن الحكمة من يأمر الله به وينهى عنه، فكل شيء في غاية الإحكام والإتقان.
- ثم يأتي للورود مرة أخرى اسم (البصير) في خاتمة الآية 72، والذي فيه ما فيه من استشعار الرقابة.
- وأخيرًا يأتي اسم (العليم) ختمًا للسورة، وفي هذا بيان علم الله تعالى المطلق الشامل بكل شيء والمحيط بكل شيء، إضافة إلى أنَّ في ورود هذا الاسم ترسيخ وتعميق المفاهيم المتعلقة بورود الأسماء الحسنى المختلفة في سورة الأنفال. فالله البصير، وهو السميع، وهو العليم، وهو المحيط، وهو القدير، وهو شديد العقاب، وهو العزيز، وهو الحكيم، وهو الغفور، وهو الرحيم، وهو المولى، وهو النصير.

وهكذا يتبين كيف تسلسلت السورة في إيرادها للأسماء الحسنى على هذا النحو وعلى هذا الترتيب في سورة الأنفال، فعلى الرغم من تفاوتها في الورود فهناك ترابط وتناسق وانسجام قد أحاط بتلك الاسماء الحسنى والصفات العلا من حيث الختم بها، ومن حيث عدد مرات الورود.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الخلق محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فبعد أن انتهيتُ من دراستي في هذا البحث المتواضع لورود الأسماء الحسنى مفردةً ومتجاورةً في خواتيم سورة الأنفال، فإنني خلصت إلى عددٍ من النتائج، ومن أهمها:

1-ظهر جليًّا أن حركة ورود الأسماء الحسنى في خواتيم الآيات والسياقات المختلفة تأكيدٌ للإعجاز البياني للقرآن الكريم، إذ لا يصلح اسم بدل من أخيه إلا في السياق الذي يناسبه، وبعضها لا يرد مفرداً مطلقاً بل يرد مجاوراً لأسماء أخرى اقتضاها السياق وتمام دقة المعنى.

2-الأسماء الحسنى ليست مترادفة، فلكل منها دلالات دقيقة تختلف عن الأخرى، إذ لو صح ترادف الأسماء، لصح وجود الاسم مكان مرادفه، ولذهب فائدة ختم الآية أو السياق القرآني باسم أو أكثر متجاورين من الأسماء الحسنى، فكل اسم موضوع في نسيج بنائي محكم ودقيق.

3-أنَّ الاسم (شديد العقاب) يرد في سياق الحث على لزوم الاستقامة،وهذا يدلل على أنَّ التنكُّر للأمر والنهي يوجب استحقاق العقاب في الدنيا، إذ إنَّ كلمة (العقاب) تنبئ عن استحقاقٍ ما عقب الفعل، بخلاف كلمة (العذاب) التي تعني الألم المستمر، وترد في سياق الحديث عن اليوم الآخر، فهذا الاسم يرد حثًّا على الطاعة قبل فوات الأوان، ودفعًا في تجاه الالتزام بتطبيق الشريعة الإسلامية.

4-أن الاسم (البصير) يرد ختمًا للسياق الذي يتحدث عن مظهر بارز من مظاهر قدرته تعالى، أو سلوكٍ ظاهري من شأنه أن يُرَى، الأمر الذي يدلل على وقوع كل شيء تحت رقابته تعالى، ويوجه إلى الأخذ بالظاهر دون الباطن الذي لا يعلمه إلا الله.

5-أنَّ الاسم (القدير) يرد ختمًا للسياق الذي يتحدث عن أحكامٍ شرعية، فيكون من قبيل الحث على الامتثال والتحذير من مخالفة أمر الله وتجاوز حدوده، أو عن مظاهر قدرته تعالى، فيأتي من قبيل إزالة العجب والغرابة؛ إذ إنه من متصفٍ بالقدرة المطلقة.

6-أنَّ الاسم (العليم) يرد في سياق الحديث عن الأمور الخفية والخواطر القلبية التي لا يعلمها ولا يطلع عليها البشر، وعن الأحكام الشرعية للإشارة أنها صادرة من عليم بالغ العلم، وللإشارة إلى أنه قادر على إيقاع الثواب والعقاب؛ إذ هو عليمٌ بالأعمال وبواعثها.

7-اسم (المحيط)يشمل إحاطة العلم، وإحاطة القدرة، ويزيد عليها بالإشارة إلى الوعيد والهلاك والعقوبة، وهذا لا يستقيم وروده في سياق الحديث عن المؤمنين، لذا فهذا الاسم يرد ختمًا للسياق الذي يتحدث عن الكفار والمنافقين.

8-أنَّ اسما (العزيز، الحكيم) لم يَرِدا في القرآن الكريم مفردين البتة، إنما يرد كل منهما مجاوراً لاسم آخر، وهذا من تمام البلاغة ودقة النَّظْم، فاسم (العزيز) يحمل معاني القوة والغلبة والتصرف والعلو، وأهل العزة يغلب عليهم في الدنيا الظلم والجور، لذا قد يتوهم أحدٌ أنه يصاحبه غلو وانحراف إذا ما ورد منفردًا، فيأتي اسم (الحكيم) ليهدم هذا التوهم، ويدعو إلى التأمل العميق في الحكمة من فعل الأشياء، والتسليم لحكمة الله عند العجز عن إدراك تلك الحكمة.

9-أنَّ الاسمين (القوي، شديد العقاب) يردان ختمًا للسياق الذي يتحدث عن سُنَّة الله المطردة في إهلاك واستئصال المجرمين، فيأتيان تحذيرًا وتأكيدًا أنه تعالى يوقع العقوبة على مستحقيها دون ممانعة منهم، ودون أن يفلت منه أَحَد.

10-أن الاسمين (السميع، العليم) يردان ختمًا للسياق الذي يتحدث عن أعمال قد حدثت ولها بواعث ونوايا لا يطَّلع عليها أحد، فيأتيان تحذيرًا من أن تكون الأعمال مخالفة لشرع الله، ومن أن تكون النوايا هي طلب السمعة والرياء، فالخلق كله يقع تحت رقابة الله عز وجل، فهو يسمع كل شيء من شأنه أن يسمع؛ بل حديث النفس قبل أن يتكلم به صاحبه؛ بل المبعث والنية. ومادام الأمر كذلك فالجزاء والعقاب الحاصل عَدْلٌ لا ظُلْم فيه. كذلك يرد هذان الاسمان ختمًا للسياق الذي يتحدث عن خوف المؤمنين من غدر الكفار والمنافقين ومكرهم وخديعتهم، فيأتيان دفعً لهذه المخاوف، وحثًّا على تفويض الأمر لله إذ يكفيهم غدر عدوهم ومكره.

11-أنَّ الاسمين (الغفور، الرحيم) يأتيان لبث الطمأنينة في نفوس المؤمنين، وللترغيب في التوبة والإنابة، إذ يردان ختمًا للسياق الذي يتحدث عن خوف المؤمنين المؤاخذة على اجتهادهم، وعلى ذنب فعلوه وقد تابوا منه، فيأتي هذان الاسمان لإزالة الخوف وبث الطمأنينة بأنه تعالى متفضلٌ على عباده محسنٌ إليهم؛ فيدخلهم الجنة دون مؤاخذة على ما صدر منهم.

12-أنَّ الاسمين (العليم، الحكيم) يردان في سياق التوجيه والتعليم وتبيين الأحكام للمؤمنين، وذلك للتأكيد على أنَّها من عليمٍ عالمٍ بالأشياء على حقيقتها، وهو عليمٌ يعلم البواعث والنوايا، ومن حكيمٍ متقنٍ للأشياء، والحكيم في قضائه وتدبير أمور خلقه.

13-أنَّ الاسمين (المولى، النصير) قد وردا في سياق الحديث عن موقف للمؤمنين يتطلب معونةً وتأييدًا، وذلك لترسيخ مفهوم أنَّ الله هو المولى المؤيد الذي يدفع الضر والمكروه، وأن الله هو النصير المؤيد الذي ينصر أولياءه ويُظْهِرهم على عدوهم، وقد وردا على هذا الترتيب لأنَّ التأييد بدفع المكروه متقدم على التأييد بالنصر والتمكين.

التوصيات:

أوصي الباحثين بإبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم وذلك بدراسة ورود الأسماء الحسنى في خواتيم الآيات في سور القرآن الكريم، والنظر والتأمل في ورودها مفردةً ومتجاورة، لإبراز الدلالات الكامنة وراء هذا الختم وهذا التجاور وهذا الترتيب للأسماء الحسنى في إثر بعضها، وإبراز أثر السياق في ذلك كله.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (1399هـ - 1979م)، ***النهاية في غريب الحديث والأثر***، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. (د. ط)، بيروت: المكتبة العلمية.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (1422هـ)، ***زاد المسير في علم التفسير***، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (1408هـ - 1987م)، ***الفتاوى الكبرى***. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (1984هـ)، ***التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»***،(د. ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (1399هـ - 1979م)، **معجم مقاييس اللغة**، عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر،.

ابن مَنْدَه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (1423 هـ- 2002 م)، ***التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن منده***، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي الأستاذ المشارك في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط:1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، سوريا: دار العلوم والحكم.

ابن منظور، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (1414هـ)، ***لسان العرب***، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، ط3. بيروت: دار صادر .

أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى (د. ت). ***إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم***، (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (1420هـ - 1999م)، ***تفسير القرآن العظيم***، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع،

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (1420هـ). ***البحر المحيط في التفسير***، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط1، بيروت: دار الفكر - بيروت.

أبو عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (1411هـ - 1990م)، ***المستدرك على الصحيحين***، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (1415هـ)، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (1422هـ)، ***الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري***، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط:1، بيروت: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (1420هـ)، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي***،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

بفخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (1420هـ)، ***مفاتيح الغيب***، ط:3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (د. ت)، ***نظم الدرر في تناسب الآيات والسور***، (د. ط)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (1418هـ). ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (1403هـ -1983م)، ***كتاب التعريفات***، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.

الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبو العباس (د. ت)، ***المصباح المنير في غريب الشرح الكبير***، (د. ط)، بيروت: المكتبة العلمية.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (1415هـ)، ***لباب التأويل في معاني التنزيل***، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (1412 هـ - 1992م)، ***شأن الدعاء***، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، ط:3، القاهرة: دار الثقافة العربية،

الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، المولى أبو الفداء (د. ت)، ***روح البيان***،(د. ط)، دار الفكر - بيروت.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (1420هـ / 1999م)، ***مختار الصحاح***، يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت- صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية.

الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (1412 هـ)، ***المفردات في غريب القرآن***، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط1. بيروت: دار القلم، دمشق: الدار الشامية.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى (1418هـ)، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ط2، دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (1407هـ)، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (1420هـ -2000 م)، ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن معلا اللويحق***، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. (1412 هـ - 1992م). ***بحر العلوم***، (د. ط). بَيروت: دار الفكر.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (1412هـ)، ***في ظلال القرآن***، ط17، القاهرة: دار الشروق،.

الشعراوي، محمد متولي (1418هـ)، ***تفسير الشعراوي - الخواطر***،(د. ط). القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (1421هـ - 2001م)، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الشيخ علوان، نعمة الله بن محمود النخجواني، (1419هـ-1999م)، ***الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية***، ط1، مصر: دار ركابي للنشر.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (1420هـ - 2000م)، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة،.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (1421 هـ)، ***شرح العقيدة الواسطية***، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، ط6، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (1421هـ-2001م)، **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، ط3، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (د. ت)، ***الفروق اللغوية***، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، (د. ط)، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (1407هـ- 1987م)، ***المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى***، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي. ط1. قبرص: الجفان والجابي -

الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الصوفي (1419هـ.)، ***البحر المديد في تفسير القرآن المجيد***، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي. (د. ط). القاهرة: (د. ن).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (1384هـ - 1964 م)، ***الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي***، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،دار الكتب المصرية - القاهرة، ط:2،.

القريمي الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، أبو البقاء الحنفي (د. ت)، ***الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية***، عدنان درويش - محمد المصري، (د. ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (1307هـ)، ***فتح البيان في مقاصد القرآن***،عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، (د. ط)، صيدا: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر.

المباركفوري، صفي الرحمن (1427هـ)، ***الرحيق المختوم***، ط1، بيروت: دار الهلال (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع).

مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (1410هـ - 1989م)، ***تفسير مجاهد***، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط1. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة.

المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (1422هـ)، ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (1414هـ)، ***فتح القدير***، ط1، بيروت: دار ابن كثير، دمشق: دار الكلم الطيب.

المراغي، أحمد بن مصطفى (1365 هـ - 1946 م)، ***تفسير المراغي***، ط1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (1417هـ-1996م)، ***المخصص***، تحقيق: خليل إبراهيم جفال. ط:1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (1421هـ - 2000 م)، ***المحكم والمحيط الأعظم***، عبد الحميد هنداوي، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

النسفي،أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (1419هـ - 1998م)، ***مدارك التنزيل وحقائق التأويل***، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط1.،بيروت: دار الكلم الطيب.

النهاوندي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي الزجاجي، أبو القاسم (1406هـ - 1986م)، ***اشتقاق أسماء الله***، د. عبد الحسين المبارك. ط:2، بيروت: مؤسسة الرسالة.

النيسابوري، محمود بن أبى الحسن بن الحسين، أبو القاسم، نجم الدين (1415هـ)، ***إيجاز البيان عن معاني القرآن*** تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.